www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

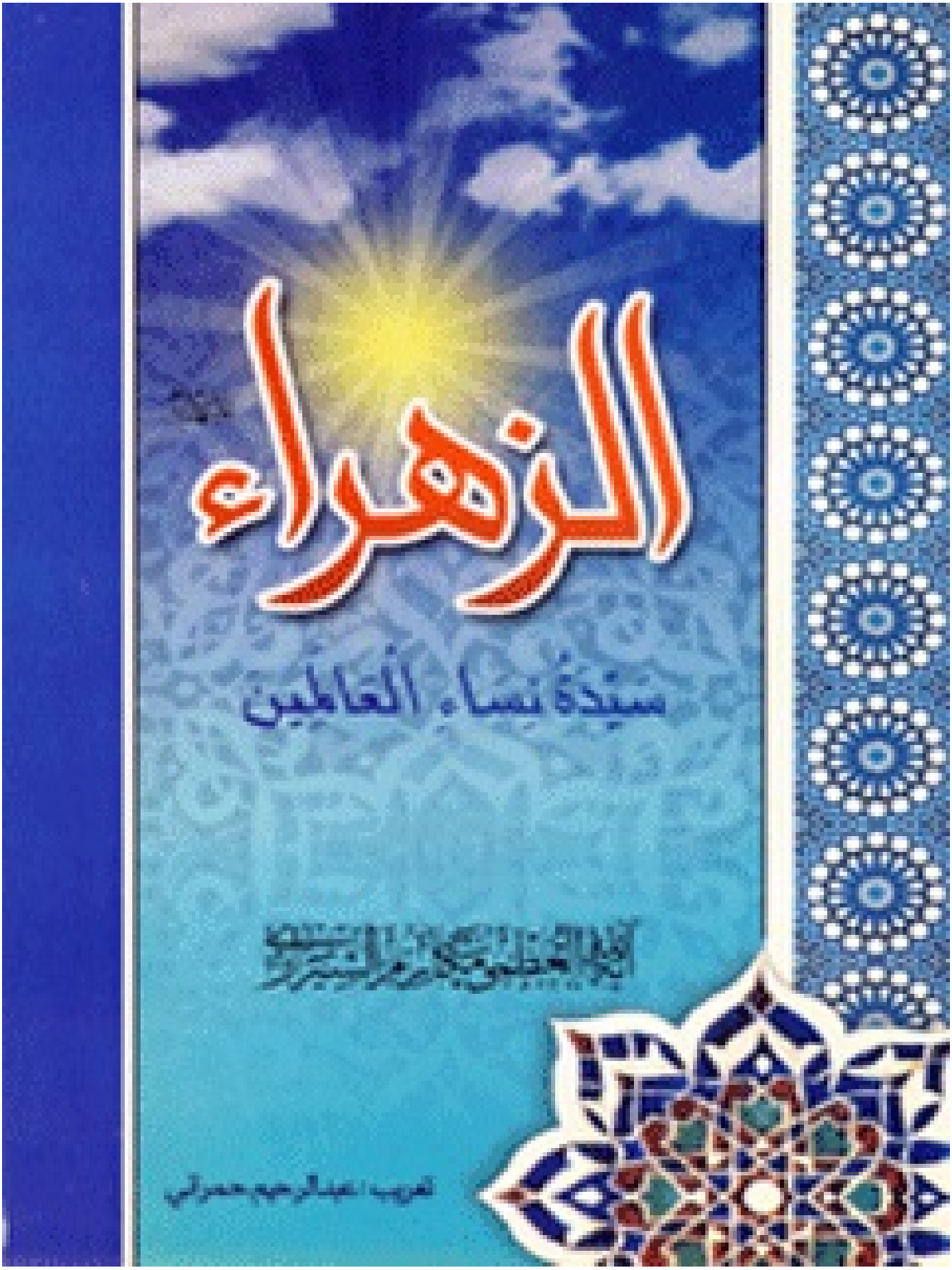
الزهراء
سيدة نساء العالمين
تعريب: عبدالرحيم عمراني

بسم الله الرحمن الرحيم

الزهرا علیهاالسلام سیده نساآ العالمین

کاتب:

آیت الله العظمی ناصرمکارم شیرازی (دام ظله)

نشرت فی الطباعة:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الزهرا علیهاالسلام سیده نساآ العالمین ----- ۸
اشارة ----- ۸
المقدمة ----- ۸
فاطمة علیها السلام منذ الولادة حتی رحیل النبی صلی الله علیه و آله ----- ۹
الولادة المیمونة لفاطمة علیها السلام ----- ۹
سر حب النبی صلی الله علیه و آله لفاطمة علیها السلام ----- ۱۰
فاطمة أم ابیها ----- ۱۱
فاطمة علیها السلام زوجة أمیر المومنین علی علیه السلام ----- ۱۲
فاطمة علیها السلام بعد رحیل أبیها صلی الله علیه و آله ----- ۱۴
فضائل الزهراء علیها السلام ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
منزلة فاطمة علیها السلام ----- ۱۵
سیدة نساء العالمین ----- ۱۷
حوراء انسیة ----- ۱۸
فاطمة علیه السلام أحب الناس الی الرسول الکریم صلی الله علیه و آله ----- ۱۹
قرب فاطمة علیها السلام من الله ----- ۲۰
زهد فاطمة علیها السلام ----- ۲۰
المکانة العلمیّة لفاطمة علیها السلام ----- ۲۲
کرامات فاطمة علیها السلام ----- ۲۲
أول من یرد الجنة ----- ۲۳
معانی أسماء فاطمة علیها السلام ----- ۲۴
هدیة الرسول صلی الله علیه و آله لفاطمة علیها السلام ----- ۲۴

اشارة ----- ۲۴
أحداث فدک المؤلمة ----- ۲۵
اشارة ----- ۲۵
۱- العوامل السیاسیة فی غصب فدک ----- ۲۶
۲- فدک عبر العصور ----- ۲۷
۳- فدک و أئمة الهدی علیهم السلام ----- ۲۸
۴- محکمة تأریخیة ----- ۲۹
۵- حدود فدک! ----- ۳۰
استنتاج ----- ۳۱
الملحمة الکبیرة ----- ۳۱
الخطبة التأریخیة لسیدة الإسلام فاطمة الزهراء علیها السلام ----- ۳۱
أسانید و وثائق الخطبة ----- ۳۲
المحاور السبعة لخطبة فاطمة الزهراء علیها السلام ----- ۳۳
توحید اللّه و صفاته و هدف التکوین ----- ۳۳
منزلة الرسول الکریم صلی الله علیه و آله السامیة، خصائصهُ و أهدافه ----- ۳۴
کتاب اللّه و فلسفة الأحکام ----- ۳۵
إعلان موقفها من النظام الحاکم ----- ۳۶
الردة بعد النبی صلی الله علیه و آله ----- ۳۸
المحور السادس قصة غصب فدک و حجج الغاصبین وتفنیدها ----- ۳۹
طلب نصرة الأنصار ----- ۴۰
الخطبة الثانیة لسیدة الإسلام فاطمة الزهراء علیها السلام ----- ۴۲
الخطبة المؤلمة فی نساء المدینة ----- ۴۲
مناقشة أسناد خطبة سیدة النساء علیها السلام ----- ۴۳
القسم الأول ----- ۴۴

القسم الثانی ----- ۴۴
اشارة ----- ۴۴
المعاییر و القیم الإلهیة ----- ۴۵
القسم الثالث ----- ۴۶
اشارة ----- ۴۶
ترجیح «المرجوح» علی «الراجح» ----- ۴۶
القسم الرابع ----- ۴۷
اشارة ----- ۴۷
الاختیار الخاطیء و ثمرته المشؤومة ----- ۴۷
القسم الخامس ----- ۴۸
اشارة ----- ۴۸
الأجوبة المریرة و المؤلمة ----- ۴۸
ملاحظة مهمة ----- ۴۹
تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۴۹

الزهرا علیهاالسلام سیده نساآ العالمین

اشارة

سرشناسه : مکارم شیرازی ناصر، – ۱۳۰۵ عنوان و نام پدیدآور : الزهرا علیهاالسلام سیده نساآ العالمین ناصر مکارم شیرازی تعریب عبدالرحیم محمدانی مشخصات نشر : قم مدرسه الامام علی ابن‌ابی‌طالب ۱۳۸۲. مشخصات ظاهری : ص ۱۷۶ وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : عربی یادداشت : عنوان اصلی زهرا سلام‌الله‌علیها برترین بانوی جهان یادداشت : عنوان روی جلد:Makarem shirazi. Al – Zahra The most superior lady of the world. یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس عنوان روی جلد : Makarem shirazi. Al – Zahra The most superior lady of the world. موضوع : فاطمه زهرا(س ، ۸؟ قبل از هجرت -- ق۱۱ شناسه افزوده : حمرانی عبدالرحیم مترجم شناسه افزوده : مدرسه الامام علی‌بن ابی طالب ع رده بندی کنگره : BP۲۷/۲/م۷ز۹۰۴۳ ۱۳۸۲ رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۷۳ شماره کتابشناسی ملی : م۸۲–۱۷۵۰۸

المقدمة

قال رسول الله صلی الله علیه و آله: «کانت مریم سیدة نساء زمانها، أمّا ابنتی فاطمة فهی سیدة نساء العالمین من الاولین الاخرین». *** شهدت المرأة معاناة قاسیة جمة علی مدی التأریخ، وکانت رقیقة فی جسدها مقارنة بالرجل، فقد أثر هذا الامر سلباً علی الظلمة والطواغیت الذین سعوا جاهدین علی مر العصور لهضم حقها وتجریدها من إنسانیتها، وما ابشع من جرائم إرتکبوها بهذا الشأن، ولا سیما فی شبه الجزیرة العربیة وابان العصر الجاهلی– رغم أن الدنیا برمتها کانت آنذاک تسبح فی بحر من الجاهلیة– حیث کانوا أشد وطأة علی المرأة وأعظم لثلمها شخصیتها. حتی بلغ بهم الأمر أن جعلوها سلعة تباع و تشتری؛ لم یورثوها الرجال (فهی لا تحمل السلاح وتحمی البیضة)، کما کانوا یعدون ولادة البنت عاراً، ولذلک– کما یشیر القرآن– کانوا یعمدون لوأدها– بل الادهی من ذلک أنهم ولوا ظهورهم حتی لا بسط القوانین الطبیعیة: فصار شاعرهم یقول: بنونا بنو أبنائنا و بناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد وهذا ما یمثل الجو الفکری الذی کان سائدا لدیهم آنذاک. وهنا کان للاسلام الذی حمل رایة القیم الالهیة والانسانیة موقفه الحازم ازاء هذا التفکیر الجاهلی المقیت لتثور ثائرته من أجل إستعادة المرأة لشخصیتها المفقودة؛ فاعتمد أسلوب الوعظ والتوصیه والارشاد إلی جانب تشریع القوانین التی تکفل للمرأة حقوقها فسح المجال أمامها لتمارس دورها فی کافة المیادین، وبالتالی الوقوف بحزم بوجه کل من تسول له نفسه التمرد علی هذه الحقائق. فقد ورد فی الاخبار: أن أسماء بنت عمیس زوج جعفر بن أبی طالب عادت معه من الحبشة وانطلقت لزیارة أزواج النبی صلی الله علیه و آله فکان مما سألت: هل جاء شیء من القرآن بحق النساء؟ فأجبن بعدم العلم بهذا الأمر! فقصدت رسول اللّه صلی الله علیه و آله وقالت: یا رسول اللّه، هل خلقت النساء للعذاب؟ (لعلها کانت مصیبة فی طرحها مثل هذا السؤال علی النبی صلی الله علیه و آله فهی حدیثة العهد بالوحی والرسالة، وربما کانت تظن بان المبادیء التی کانت تحکم المجتمع الجاهلی مازالت عالقة لحد الان). فاجابها رسول اللّه صلی الله علیه و آله: ومم ذاک؟ قالت: لأن القرآن لم یقر لها بالفضل الذی أقره للرجال! کانت تلک الواقعة فی العام الهجری الخامس وقد مرت ثمانیة عشر عاماً علی انبثاق الدعوة الاسلامیة، کما إستفاضت الایات القرآنیة وتواترت الاحادیث النبویة التی تناولت قضیة إحیاء شخصیة المرأة، مع ذلک و بهدف التأکید فقد صرحت الایة الخامسة والثلاثون من سورة الاحزاب بهذا الفضل للنساء وحقیقة تأصل قیمها الانسانیة التی تجعلها تشترک وأخیها الرجل فی وحدة هذه الحقیقة وأنها تتمتع. بمکانتها الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۷ الاجتماعیة المرموقة. وهی القیم التی حصرتها الایة الشریفة فی عشرة فصول، فقالت: إن المسلمین والمسلمات. والمؤمنین والمؤمنات والقانتین والقانتات والصادقین والصادقات والصابرین والصابرات والخاشعین والخاشعات والمتصدقین والمتصدقات والصائمین و الصائمات والحافظین فروجهم والحافظات والذاکرین الله کثیرا

والذاكرات أعد اللّه لهم مغفرة و أجرا عظيما وهكذا يكون الاسلام قد وضع النقاط على الحروف، وكشف النقاب عن تكافىء المرأة والرجل فى سيرهما إلى اللّه وبلوغ السمو والكمال الانسانى المشهود. جدير بالذكر ان البعض قد أعرب عن دهشته من كيفية منح الاسلام المرأة حق المطالبة باجور الرضاعة التى تقدمها لولدها! فقد قال عز من قائل: ى فان أرضعن لكم فاتوهن أجورهنى «۱» . فهل هناك من امرأة يسعها المطالبة بالاجر من أجل ارضاع فلذة كبدها ولاسيما إذا كانت تعيش مع زوجها حياة زوجية مشتركة؟ الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۸ لكن لا ينبغى أن ننسى هنا بان هذه التعاليم انما تستند إلى منطق الاسلام الذى لا يرى ان المرأة هى إنسان ذات حقوق إنسانية، لها الحق فى التصرف فى أموالها وليس للرجل الحق فى هضمها حقها دون رضاها وطيب خاطرها فحسب، بل أبعد من ذلك فهى تملك حتى حق المطالبة بالرضاعة. ولك- عزيزى القارئ- أن تقف على مدى تأثير هذا الأمر على تلك البيئة! وزبدة الكلام أن المرأة مدينة بالفضل للاسلام الذى أعاد لها عزتها و كرامتها وحررها من مخالب عتاة التأريخ ومردته، شريطة أن تطبق تعاليم هذا الدين الحنيف بحذافيرها.

فاطمة عليها السلام منذ الولادة حتى رحيل النبى صلى الله عليه و آله

الولادة الميمونة لفاطمة عليها السلام

«فاطمة بضعة منى وهى نور عينى وثمرة فؤادى وروحى التى بين جنبىّ وهى الحوراء الانسية» «۱» كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يعيش أصعب الظروف وأعقدها فى العام الخامس من بعثته النبوية الشريفة، فالاسلام فى عزلة خانقة والمسلمون الاوائل قلائل وتصاعد حدة الضغوط، ناهيك عن أجواء الظلام التى كانت القت بظلالها على مكة اثر الشرك والوثنية والجهل والحروب القبلية العربية وسيادة منطق القوة واستشراء الفقر والحرمان فى صفوف الناس. كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يتطلع إلى الغد؛ الغد المشرق الكامن وراء هذه السحب السوداء الداكنة، الغد الذى يبدو صعب المنال و ربما المحال بالالتفات إلى الاسباب والعلل الظاهرية الاعتيادية. وهنا وقعت حادثة المعراج الكبرى التى أذن اللّه فيها لرسوله الاكرم صلى الله عليه و آله بالعروج لمشاهدة ملكوت السماء ى لنريه من آياتنا ى «۲» فيرى عظم آيات ربّه بعينه لتتسامى روحه العظيمة، ويتأهب لتلقى ثقل الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۲ الرسالة المصحوبة بسعة الأمل. فقد روى الفريقان- السنة والشيعة- أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله وطأ الجنة ليلة المعراج، فناوله جبرئيل عليه السلام فاكهة من شجرة طوبى، فلما عاد إلى الارض انعقدت نطفة فاطمة من تلك الفاكهة. ولذلك جاء فى الحديث أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال: «ان فاطمة حوراء أنسية، فكلما إشتقت إلى الجنة جعلت أقبلها» «۱» وبذلك فإن هذه المولودة المباركة التى تمثل عصارة ثمار الجنة ولحم و دم رسول اللّه صلى الله عليه و آله وتلك الام الحنون السيدة خديجة الكبرى عليها السلام تكون قد وضعت حدا لطعنهم و غمزهم فى النبى صلى الله عليه و آله كونه أبتر لا عقب له. وعلى ضوء سورة «الكوثر» المباركة فان فاطمة عليه السلام هى العين الصافية التى تدفقت منها ذرية النبى صلى الله عليه و آله والائمة الهداة الميامين عبر القرون حتى يوم القيامة. للحوراء الانسية تسعة أسماء يرمز كل منها لصفات و مناقب هذه السيدة الطاهرة المباركة، وهى: ۱- فاطمة ۲- الصديقة ۳- الطاهرة ۴- المباركة ۵- الزكية الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۳ ۶- الراضية ۷- المرضية ۸- المحدّثة ۹- الزهراء وكفى باسمها «فاطمة» الذين يعنى البشارة الكبرى لمواليها ومحبيها، فلفظ «فاطمة» قد أخذ من مادة «فطم» بمعنى الانفصال، ومنه فطام الولد بمعنى فصله عن الرضاعة. فقد ورد فى الحديث أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال لأمير المؤمنين على عليه السلام: أتعلم يا على لم سميت ابنتى فاطمة؟ قال عليه السلام: لم يا رسول اللّه صلى الله عليه و آله؟ فقال عليه السلام: «ان اللّه عزوجل فطمها و محبيها من النار فلذلك سميت فاطمة» «۱» ويتألق إسم الزهراء من بين أسمائها. و حين سئل الصادق عليه السلام: لم سميت فاطمة عليه السلام بالزهراء؟ قال عليه السلام: لأن الزهراء كانت زاهرة كالنور، فإذا وقفت فى محرابها للصلوة كانت تزهر لأهل

السموات کما تزهر النجوم لأهل الارض، ولهذا سمیت بالزهراء. کان زواج تلک السیدة- التی کانت تحظی بشخصیة مرموقة فی مجتمعها- من النبی الاکرم صلی الله علیه و آله سببا لمقاطعتها من قبل نساء مکة، اللاتی قلنّ: إنها تزوجت من فتی فقیر ویتیم فحطت من قدرها وشأنها. وقد إستمرت هذه المقاطعة حتی حملت بالزهراء علیه السلام. فلما قاربت وضع حملها بعثت خلف نساء قریش لیرافقنها فی لحظات الطلق والمخاض العصیبة ولا یترکنها لوحدها. فجوبهت برد باهت قاسی: «انک لم تسمعی مقالتنا فتزوجت من یتیم أبی الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۴ طالب، فلیس لنا أن نساعدک! اغتمت خدیجة علیها السلام لهذا الرد الباطل؛ لکن قلبها کان یطفح بنور الأمل الذی یشعرها بأن ربّها لن یترکها وحیدة. وبدأت لحظات الوضع الصعبة؛ مع غربتها ووحدتها فی البیت، ولم تکن هناک خادمتها التی یمکنها الوقوف إلی جوارها أملًا فتفتح عینها لتری أربعاً من النساء فینتابها القلق. فنادتها إحداهن قائلة: لا تبتسئی! فقد بعثنا ربک لنجدتک، نحن أخواتک، فأنا سارة وهذه آسیة زوجة فرعون وهی رفیقتک فی الجنة؛ وتلک مریم بنت عمران، أما هذه فهی کلثوم ابنة موسی بن عمران و قد جئنا لنلبی أمرک. فمکثن عندها حتی وضعت فاطمة سیدة النساء. «۱» ولم یکن ذلک بدعا فقد قال الحق سبحانه: ی ان الذین قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا تتنزل علیه الملائکة ألّا تخافوا ولا تحزنوای «۲» إضافة إلی الملائکة فقد حضرتها أرواح نساء العالم لنجدتها ومعونتها. فسرُّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله وحمد اللَّه وأثنی علیه، وخرست ألسن خصومه ممن نعتوه بالابتر، حیث بشّره سبحانه بهذه المولودة المبارکة ی انا أعطیناک الکوثر فصل لربک وانحر إن شانئک هو الابتری.

سر حب النبی صلی الله علیه و آله لفاطمة علیها السلام

«إذا اشتقت إلی الجنة قبّلْتُ نحرَ فاطمة». «۱» کتب کل المؤرخین وأرباب الحدیث أنّ للرسول صلی الله علیه و آله علاقةً عجیبةً بابنته فاطمة علیها السلام بدیهی أن علاقة النبی الکریم صلی الله علیه و آله بفاطمة علیها السلام لم تکن علاقة الوالد بولده، رغم أنَّ هذه العاطفة مکونة فی وجود الرسول صلی الله علیه و آله، إلّا أن حدیثه وعبارته عن تلک العلاقة تشیر إلی وجود معاییر أخری. ونکتفی هنا بالاشارة إلی بعض الروایات التی صرحت بها مصادر الفریقین. ۱- «ما کان أحد من الرجال أحب إلی رسول اللَّه من علیٍّ ولا من النساء أحب إلیه من فاطمة». «۲» الطریف أن جمعاً کبیراً من أرباب الحدیث قد روی هذا الحدیث نقلًا عن عائشة. ۲- عند ما نزلت الآیة الشریفة: ی لا تَجْعَلوا دعاء الرّسولِ بینَکم کدعاء بعضکم بعضاًی. «۳» لم یخاطب المسلمون الرسول صلی الله علیه و آله باسمه، بل أخذوا ینادونه یا رسول الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۶ اللَّه أو یا أیها النّبی- تقول فاطمة علیها السلام لمّا نزلت الآیة الشریفة هبت رسول اللَّه أن أقول له یا أبه. فکنت أقول: یا رسول اللَّه، فأعرض عنی مرةً واثنین أو ثلاثاً، ثم أقبل علیَّ فقال: یا فاطمة إنّها لم تنزل فیک ولا فی أهلک ولا فی نسلک، أنت منی و أنا منک، إنّما نزلت فی أهل الجفاء والغلظة من قریش، أصحاب البذخ والکبر ثم أضاف هذه العبارة الروحیة العجیبة قولی یا أبه فإنّها أحیی للقلب وأرضی للرّب» «۱». لقد کان لصوت فاطمة علیها السلام الحنون وهی تردد «یا أبتاه» وقعاً مؤثراً فی نفس الرسول صلی الله علیه و آله کوقع أمواج النسیم علی البراعم المتفتحة. ۳- جاء فی حدیثٍ آخر «کان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله إذا سافر کانت آخر الناس عهداً به فاطمة وإذا رجع من سفره کانت علیها أفضل الصلاة أوّل الناس عهداً به». «۲» ۴- نقل کثیر من محدثی الشیعة والسنّة حدیثاً للرسول صلی الله علیه و آله قال فیه: «من آذاها فقد آذانی ومن أغضبها فقد أغضبنی من سرها فقد سرنی ومن سائها فقد سائنی» لا شک أن حرمة الزهراء صلی الله علیه و آله ورفعتها انما تعود لسمو شخصیتها وسمو مکانتها واخلاصها وعلو ایمانها وعبودیتها، ولا غرو فهی أم الائمة و زوج أمیرالمؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السلام. لکنّ الرسول صلی الله علیه و آله أراد أن یفهم المسلمون حقیقة أخری ویفصح عن رأی الاسلام بشأن أمر آخر فیخلق ثورة فکریة و ثقافیة فی ذلک الوسط فیقول: الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۷ البنت لیست کائنا یجب أن توأد. أنظروا ... أنی أقبل ید ابنتی، واجلسها مکانی، وأکن لها عظیم احترامی وتقدیری. البنت إنسان کسائر الناس، نعمة من نعم الخالق، وموهبة

إلهیة. وأنها کأخیها الرجل فی سیرها نحو الکمال والقرب الالهی، وهکذا أعاد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله للمرأة شخصیتها التی تصدعت فی ذلک الوسط المظلم. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۸

فاطمة أم ابیها

قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «انّ اول شخص یدخل علی الجنة فاطمة بنت محمد» «۱» کان المسلمون یعیشون مرحلة الاعداد فی مکة، فی ظل ظروف قاسیة للغایة. کانت بدایة انبثاق الدعوة الاسلامیة، والفئة الاسلامیة قلیلة، بینما کانت العدة والعدد والسطوة والثروة بید خصوم الدعوة الجفاة، وکان لهم أن یفعلوا ما شاءوا بالمسلمین. فلم یتورعوا عن أذی المسلمین، کما لم یکفوا عن الاساءة إلی النبی صلی الله علیه و آله والطعن فی شخصه. وقد شهد ذلک العصر بروز شخصیتین علی مستوی التضحیة والفداء: فکانت «خدیجة» من بین النساء؛ التی کانت سکن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله تواسیه بحبها وحنانها فتزیل عن قلبه الهم والغم. أما من بین الرجال فکان (ابوطالب) والد امیرالمؤمنین علی علیه السلام والّذی کان یتمتع بمکانة مرموقة فی المجتمع المکّی، إلی جانب حکمته و حنکته العالیة. فکان یقی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله ولا یتوانی فی الدفاع عنه، کان درعه وعونه إزاء خصوم الدعوة. وللأسف فقد توفی هذان العظیمان فی السنة العاشرة للهجرة الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۹ فحزن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله حزناً شدیداً و بقی وحده فی الساحة. وقد بانت شدة حزنه بهذین الفردین- والذین کان لکل منهما دوره فی إنتشار الاسلام- حین سمی ذلک العام ب «عام الأحزان». ولکن لا یسلب اللَّه المصطفین من عباده نعمة الافاض علیهم مثلها، فقد خلّف کل منهما ولدا یواصل نهجهما. فکان علی بن أبی طالب علیه السلام کأبیه یقی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بنفسه، کان کذلک من انبثاق الدعوة، وهکذا سد الفراغ الذی ترکه أباه بعد رحیله. بینما خلّفت خدیجة (فاطمة) فکانت البنت الحنونة الشجاعة والمضحیة التی وقفت إلی جانب أبیها تشد أزره وتشارکه همه و غمه. کان أمیرالمؤمنین علیه السلام فی التاسعة عشرة من عمره، بینما لم تکن فاطمة- علی ضوء الروایات الصحیحة- قد جاوزت الخامسة من عمرها. الجدیر بالذکر انهما عاشا معاً فی بیت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یؤنسانه ویخففان عنه ألم الوحدة. فقد کانت السنوات الثلاث الاخیرة التی سبقت الهجرة مملوءة بالاذی والمرارة والمعاناة بسبب الجهود المضنیة التی کان یبذلها أعداء الدعوة من أجل القضاء علی الاسلام والمسلمین. لقد نالت قریش من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله من الاذی ما لم تکن تطمع به فی حیاة أبی طالب حتی إعترضه سفیه من سفهاء قریش فنشر علی رأسه التراب، فدخل رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بیته والتراب علی رأسه، فقامت إلیه فاطمة علیها السلام فجعلت تمسح التراب عن رأسه وهی تبکی ورسول اللَّه صلی الله علیه و آله یقول لها: لا تبکی یا بنیة، فان اللَّه مانع أباک. «۱» وروی ابن عبّاس: أن قریشاً اجتمعوا فی الحجر فتعاقدوا باللّات والعزی ومناة لو رأینا محمداً لقمنا مقام رجل واحدٍ ولنقتلنّ، فدخلت الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۲۰ فاطمة علیها السلام علی النبی صلی الله علیه و آله باکیةً وحکت له مقالهم، فقال: یا بنیة أدنی وضوئی فتوضأ وخرج إلی المسجد، فلمّا رأوه قالوا: هاهو ذا و خفضت رؤوسهم، وسقطت أذقانهم فی صدورهم فلم یصل رجل منهم، فأخذ النبی صلی الله علیه و آله قبضةٍ من التراب فحصبهم بها و قال: شاهت الوجوه، فما أصاب رجلًا منهم إلّاقتل یوم بدر. «۱» وهذا یدل علی أنَّ فاطمة علیها السلام لم تکن تخدم والدها فی البیت فحسب، بل و تفکر بکیفیة الدفاع عنه و نجاته فی خارج البیت. حیث روی أنها کانت الوحیدة فی الدفاع عنه علیها السلام عندما رمی علیه أبوجهل روث البقر، و هو صلی الله علیه و آله یصلی وأصحابه عند الکعبة. فلم یجرؤ أحد علی التدخل، لکنها خرجت و أسمعت أبا جهل ما روعه عن الاستمرار فی السخریة من النبی صلی الله علیه و آله. نعم ... حتی عند افتقار الجرأة فی الشجعان من الرجال فی الدفاع عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، نری هذه البنت الشجاعة الصغیرة تسارع فی الدفاع عن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله. بعد أن انقضت فصول معرکة أحد و غادر جیش العدو ساحة الوغی کان الرسول صلی الله علیه و آله لا یزال فی میدان أحدٍ وقد کسرت رباعیته و شج جبینه، وبینما هو کذلک إذا أقبلت فاطمة علیها السلام وهی صغیرة السن من المدینة إلی أحدٍ سیراً علی الأقدام، لتقوم

بغسل وجهه المبارک وإزالة الدم عن محیاه الشریفة، لکن الجبین لم یزل ینزف. عندها قامت بحرق قطعة من الحصیر، ثم وضعت رماده، علی مکان الجرح فانقطع النزیف، والأعجب من ذلک أنّها کانت تهیء لأبیها السلاح الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۲۱ فی المعرکة التی جرت فی الیوم القادم. «۱» فی معرکة الأحزاب التی هی من أهمّ الغزوات الإسلامیة، وفی أحداث فتح مکة عندما انتصر جنود الإسلام علی اخر متراس للمشرکین و السیطرة علی البیت العتیق وتخلیصه من الأصنام التی کانت تلوثه، نری أیضاً فاطمة علیها السلام واقفةً إلی جانب أبیها، ففی الخندق تقبل علیه بأقراصٍ من الخبز معدودة بعد أن بقی أیاماً بدون طعام، وفی الفتح المبین نراها تضرب له خیمته وتهیء له ماء لیستحم و یغسل، حتی یزیل عن جسده المبارک غبار الطریق، ویرتدی ثیاباً نظیفة یخرج بها إلی المسجد الحرام. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۲۲

فاطمة علیها السلام زوجة أمیر المومنین علی علیه السلام

«لو لم یخلق علیٌّ لم یکن لفاطمة کفوٌ» «۱» الزواج الذی عقد فی ملکوت السموات کمالات فاطمة الرفیعة من ناحیة و کونها بنت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله من ناحیة أخری شرف نسبها من ناحیةٍ ثالثة. کان سبباً فی سعی الکثیر من کبار أصحاب الرسول صلی الله علیه و آله لخطبتها الاـ أن الرسول صلی الله علیه و آله رفض تزویجها، و غالباً ما یکرر قوله: أمرها الی ربِّها! الأعجب من ذلک خطبة «عبد الرحمن بن عوف»، ذلک الرجل الثری الذی کان ینظر الی الامور من زاویة مادیة، علی ضوء التقالید و الاعراف الجاهلیة، فکان یعتقد بان المهر الغالی دلیل علی عظم موقع المرأة و مکانتها. فعن أنس بن مالک قال: ورد عبدالرحمن بن عوف الزهری و عثمان بن عفان الی النبی صلی الله علیه و آله، فقال له عبدالرحمن یا رسول اللَّه تزوجنی فاطمة ابنتک، و قد بذلت لها من الصداق مائة ناقة سوداء زرق الأعین کلها قباطی مصر، و عشرة آلاف الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۲۳ دینار- و لم یکن من أصحاب رسول اللَّه أیسر من عبدالرحمن و عثمان- و قال عثمان: و أنا أبذل ذلک، و أنا أقدم من عبدالرحمن إسلاماً. فغضب النبیّ صلی الله علیه و آله من مقالتهما، فتناول کفاً من الحصی فحصب به عبدالرحمن و قال له: إنّک تهول علیَّ بمالک؟ فتحول الحصی دراً، فقومت درّة من تلک الدر فإذا هی تفی بکلِّ ما یملکه عبدالرحمن. «۱» بلی ... یجب أن تشخص و تطبق المثل الاسلامیة فی زواج فاطمة علیها السلام، و یتعرف المجتمع الإسلامی علی القیم و المعاییر الإسلامیة السامیة، و یسحق السنن البالیة من عهد الجاهلیة. وبینما کان حدیث زواج فاطمة یدور علی ألسن أهل المدینة، اذ ذیع فجأة أن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله لن یزوجها من غیر علی بن أبی طالب علیه السلام. علی بن أبی طالب علیه السلام الذی خلت یده من المال و من کلِّ ثروةٍ دنیویة، و لم یکن یتحلی بأیٍّ من المیزات التی تقیم لها الجاهلیة و زناً، لکنه کان یتمتع بایمانٍ و قیم إسلامیةٍ أصلیةٍ تملأ کیانه من مفرق رأسه إلی أخمص قدمیه. و عندما تحقّق القوم علموا أنَّ وحیاً سماویاً قد أمر الرسول صلی الله علیه و آله بعقد هذا الزواج التاریخی المبارک، اضافة الی أنه صلی الله علیه و آله قال: «أتانی ملک فقال یا محمد ان اللَّه یقرئک السلام و یقول لک: إنی قد زوجت فاطمة ابنتک من علیٍّ ابن أبی طالب فی الملأ الاعلی فزوجها منه فی الأرض». «۲» الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۲۴ عندما دخل أمیر المؤمنین علی علیه السلام علی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و قد أخذ الحیاء منه مأخذه، جلس بین یدیه علیه السلام و لم یستطع التکلم لجلالة و هیبة صاحب الرسالة علیه السلام فقال له علیه السلام: ما جاء بک؟ ألک حاجة؟ فسکت أمیر المؤمنین علیه السلام، فقال علیه السلام: لعلک جئت تخطب فاطمة؟ فقال علی علیه السلام: نعم، فقال الرسول صلی الله علیه و آله: یا علی! لقد سبقک آخرون خطبتها منی، و انی کلما عرضت الامر علیها لم تظهر موافقتها، دعنی أحدّثها فی شأنک. صحیح أن هذا الزواج قد عُقد فی السماء و یجب أن یتم، الّا أن احترام حریة المرأة فی اختیار زوجها عموماً، و شخصیة فاطمة علیها السلام خصوصاً تحتم علی الرسول صلی الله علیه و آله أن یتشاور مع فاطمة علیها السلام فی هذا الامر قبل البت فیه. بعدها ذهب النبّی صلی الله علیه و آله لفاطمة علیها السلام و قال لها: أن علیّ بن أبی طالب ممّن قد عرفت قرابته و فضله فی الاسلام، و انّی سألت ربّی أن یزوجک خیر خلقه و أحبهم الیه، و قد ذکر من أمرک

شیئاً، فماترین؟ فسکتت، فخرج رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و هو یقول: «اللَّه أکبر! سکوتها اقرارها» بعدها تم عقد القران بواسطة الرسول صلی الله علیه و آله. مهر فاطمة: و الان، لنری ما هو مهر فاطمة؟ مما لا شک فیه أنّ زواج أفضل رجال العالم بسیدة نساء العالم و ابنة الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۲۵ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله یجب أن یکون مثلًا رائعاً، مثالًا لکلّ العصور و الازمنة، لذا توجه الرسول صلی الله علیه و آله الی أمیر المومنین علی علیه السلام بالقول: یا أبا الحسن فهل معک شیء أزوجک به؟ فقال علی علیه السلام: فداک أبی و أمی و اللَّه ما یخفی علیک من أمری شیء، أملک سیفی، درعی، و ناضحی، و ما أملک شیئاً غیر هذا، فقال له رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: یا علی أما سیفک فلا غنی بک عنه تجاهد به فی سبیل اللَّه و تقاتل به أعداء اللَّه، و ناضحک تنضح به علی نخلک و أهلک و تحمل علیه رحلک فی سفرک، ولکنّی قد زوجتک بالدرع و رضیت بها منک. «۱» ونقرأ فی روایةٍ أخری أنّ الزهراء علیها السلام طلبت من أبیها علیه السلام، أن یکون مهرها الشفاعة فی المذنبین من أمّة محمد صلی الله علیه و آله، فنزل جبرئیل علیه السلام علی الرسول علیه السلام مخبراً بتلبیة اللَّه سبحانه و تعالی لطلب فاطمة علیه السلام. «۲» ربّما أن أغلی قیمة ذکرها التأریخ لهذا الدرع کانت خمس مائة درهم. هذا من ناحیة، و من ناحیةٍ أخری نقرأ فی الحدیث أنّ فاطمة علیه السلام سألت النبی صلی الله علیه و آله أن یکون صداقها الشفاعة لأمته یوم القیامة، فنزل جبریل علیه السلام، و معه رقعة من حریر مکتوب علیها: جعل اللَّه مهر فاطمة الزهراء شفاعة المذنبین من أمة أبیها. «۳» نعم، و بهذا الشکل یجب أن تحطم القیم الخاطئة، لتحلَّ محلها القیم الأصیلة، و هکذا یجب أن تکون سیل و أعراف ذوی الایمان من الرجال و النساء، و علی هذا النهج تکون حیاة القادة الحقیقیین لعباداللَّه «عزوجل». الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۲۶ جهاز فاطمة علیها السلام: المهر، الجهاز، و مراسم الزفاف هی المشاکل الکبری الثلاث التی تواجه العوائل بشأن الزواج و هی المشاکل التی تطغی أحیانا علی الحیاة الزوجیة فتجعل الزوجین یعیشان الامرین طیلة عمرهما. و بسبب هذه الامور الثلاثة نلاحظ أحیاناً نشوء مشاجراتٍ لفظیةٍ، و أخری نزاعاتٍ دمویة، و ما أکثر ما أُضیع من الاموال فی هذه المجال بسبب التظاهر و التفاخر و المنافسة الطفولیة و القبیحة بین العوائل. و الموسف أن ترسبات الافکار الجاهلیة ما زالت عالقة فی أذهان من یدعون تمسکهم بالاسلام الحنیف. و لکن یجب أن یکون جهاز سیدة الاسلام کما هو مهرها مثالًا نموذجیاً للجمیع. و کما أمر رسول اللَّه فقد بیع الدرع بأربعمائة و سبعین درهماً، ثم جاء علی علیه السلام بالمهر الی الرسول. قسم الرسول صلی الله علیه و آله المال الی ثلاثة أقسام، حیث قبض قبضةً منه و دفعه الی بلال و قال له: ابتع لفاطمة طیباً، ثم قبض بکلتا یدیه مقدار من ذلک المال و دفعه الی جماعةٍ قائلًا لهم: اشتروا به ما یصلح فاطمة من ثیابٍ و أثاثٍ للبیت، و دفع مبلغاً آخراً لأمّ أیمن لتشتری به أمتعةً الی البیت. من الواضح أن جهاز العرس الذی یُهیّا بهذا القدر من المال، لا بدَّ أن یکون بسیطاً رخیص الثمن. و قد ذکرت کتب التأریخ أن جهاز سیدة نساء العالمین قد تکوَّن من ثمانیة عشر نوعاً من الحاجیات، کلّها من ذلک المال، و نذکر هنا أهمّها: قطیفة سوداء خیبریة الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۲۷ قمیص بسبعة دراهم سریر مزمل بشریط أربع مرافق من ادم الطائف، حشوها أذخر «۱» ستر من صوف حصیر هجیر رحی یدویة سقاء من ادم مخضب من نحاس قعب للبن و شن للماء جرّة خضراء ... و أمثال ذلک نعم هکذا کان جهاز سیدة نساء العالمین. مراسم الزفاف: أجری نبیّ الرحمة احتفالًا لهذا الزواج الذی اختاره اللَّه سبحانه و تعالی، و لهذه العائلة التی کان لها الدور الأهم فی تاریخ الاسلام، و التی انحدر منها النسل الطیب و أئمة الهدی، خلفاء اللَّه فی أرضه فأغضبت مراسم الاحتفال تلک أعداء المسلمین، و رفعت رأس الموالین عالیاً، و جعلت الخصوم یفکرون بمعنی الاسلام. حضرت کلٌّ من «أم أیمن» و «أم سلمة» و هما امرأتان ذواتا منزلة رفیعة فی الاسلام کما کانتا شغفتین بفاطمة الزهراء، عند رسول اللَّه بیت عائشة مع باقی زوجاته، فأحدقن به و قلن: فدیناک بآبائنا و أمهاتنا یا رسول اللَّه و قد اجتمعنا لأمرٍ لو أنَّ خدیجة فی الاحیاء لقرّت بذلک عینها. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۲۸ قالت «أم سلمة»: فلما ذکرنا خدیجة بکی رسول اللَّه ثم قال: خدیجة و أین مثل خدیجة، صدقتنی حین کذَّبنی الناس و وازرتنی علی دین اللَّه و أعانتنی علیه بمالها، انّ اللَّه عز و جلّ أمرنی أن أبشر خدیجة ببیتٍالجنة من قصب (الزمرد) لاصخب فیه و لانصب. قالت «أم سلمة»: فقلنا:

فدیناک بآبائنا و أمّهاتنا یا رسول اللّه انّک لم تذکر من خدیجة أمراً الّا و قد کانت کذلک غیر أنّها قد مضت الی ربّها، فهنأها اللّه بذلک و جمع بیننا و بینها فی درجات جنته و رضوانه و رحمته، یا رسول اللّه و هذا أخوک فی الدنیا و ابن عمّک فی النسب علی بن أبی طالب یجب أن تدخل علیه زوجته فاطمة، و تجمع بها شمله. فقال: یا أم سلمة فما بال علی علیه السلام لا یسألنی ذلک؟ فقلت: یمنعه الحیاء منک یا رسول اللّه. قالت «أم أیمن»: فقال لی رسول اللّه: انطلقی الی علیّ فائتینی به فخرجت من عند رسول اللّه فاذا علیّ ینتظرنی لیسألنی عن جواب رسول اللّه، فلما رآنی قال: ما وراءک یا أم أیمن، قلت: أجب رسول اللّه. قال: فدخلت علیه و قمن أزواجه فدخلن البیت و جلست بین یدیه مطرقاً نحو الارض حیاءً منه، فقال أتحبُّ أن تدخل علیک زوجتک؟ فقلت و أنا مطرق: نعم فداک أبی و أمی، فقال: نعم و کرامة یا أبا الحسن أدخلها علیک فی لیلتنا هذه أو فی لیلة غد ان شاء ا للّه، فقمت فرحاً مسروراً و أمر أزواجه أن یزین فاطمة و یطیبنها و یفرشن لها بیتاً لیدخلنها علی بعلها، ففعلن ذلک. و أخذ رسول اللّه من الدراهم التی سلمها الی «أم سلمة» عشرة دراهم فدفعها الیّ و قال: اشتر سمناً و تمراً و أقطا، فاشتریت و أقبلت به الی الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۲۹ رسول اللّه، فحسر عن ذراعیه و دعا بسفرة من أدم و جعل یشدخ التمر و السمن و یخلطهما بالأقط حتی اتخذه حیساً. ثمَّ قال یا علی ادعُ من أحببت، فخرجت الی المسجد و أصحاب رسول اللّه متوافرون، فقلت: أجیبوا رسول اللّه، فقاموا جمیعاً و أقبلوا نحو النبی، فأخبرته بأن القوم کثیر، فجلل السفرة بمندیل، و قال: ادخل علیَّ عشرة بعد عشرة، ففعلت و جعلوا یأکلون یخرجون و لاینقص الطعام، حتی لقد أکل من ذلک الحیس سبع مائة رجل و امرأة ببرکة النبی. قالت «أم سلمة»: ثم دعا بابنته فاطمة، و دعا بعلیّ، فأخذ علیّاً بیمینه و فاطمة بشماله، و جعلهما الی صدره، فقبل بین أعینهما، و دفع فاطمة الی علیٍّ و قال: یا علی نعم الزوجة زوجتک، ثم أقبل علی فاطمة و قال: یا فاطمة نعم البعل بعلک ثمَّ قام یمشی بینهما حتی أدخلهما بیتهما الذی هییء لهما، ثم خرج من عندهما فأخذ بعضادتی الباب فقال: طهرکما اللّه و طهر نسلکما أنا سلم لمن سالمکما و حرب لمن حاربکما، أستودعکما اللّه و استخلفه علیکم. «۱» لیعتبر عشاق الدنیا و ذوو الایمان الضعیف المتأثرون بزخارف هذا العالم المادی، الذین یرون کرامة و جلال العائلة فی التشریفات القاصمة للظهر التی تقام فی العرس، و لیستلهموا من هذا البناء التربوی للانسان الذی یعدّ ثروةً و کنزاً لسعادة کلٍّ من الشباب و الشابات، و لیتفحصوا صفحات التأریخ و یشاهدوا بأعینهم کیف طبقت تعالیم الاسلام أحداث «خطبة» و «مهر» و «جهاز» و «مراسم حفلة زواج» سیدة النساء فاطمة الزهراء علیه السلام.

فاطمة علیها السلام بعد رحیل أبیها صلی اللّه علیه و آله

«ما زالت بعد أبیها معصبة الرأس باکیة العین، محترقة القلب» «۱» انقضت الفترة السعیدة من حیاة سیدة النساء فاطمة الزهرا بسرعة، و ذلک بوفاة النبیّ الکریم- رغم أنها لم تذق معنی السعادة فی أیٍّ من مراحل حیاتها بسبب الضغوط و الحروب و المؤامرات التی حاکها الاعداء ضد الاسلام و الرسول، مما سلب روح الزهراء الهدوء و الطمأنینة. و بارتحاله الی الرفیق الاعلی بدأت ریاح الظلم و المصاعب تهب علی آل بیته المیامین. فظهرت من جدید أحقاد بدرٍ و خیبر و حُنینٍ التی دُفنت فی عصر الرسول الأمین، تحت التراب، و ثار المنافقون و الاحزاب لینتقموا من الاسلام و من آل بیت محمد و خصوصاً ابنته فاطمة الزهراء التی کانت تمثل مرکز الدائرة التی صوبت نحوها سهام الأعداء المسمومة. ألم فراق أبیها من ناحیة مظلومیة أمیر المومنین علی علیه السلام المؤلمة من ناحیةٍ أخری. المؤامرات التی حاکها أعداء الاسلام من ناحیةٍ ثالثة. و قلق فاطمة علی مستقبل المسلمین و کیفیة الحفاظ علی تعالیم القران. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۳۱ اجتمعت هذه الامور مع بعضها لتعکر صفوها و تدمی قلبها، لکن فاطمة أخفت همها و غمها عن زوجها مخافة أن یتسع جرحه و معاناته من ظلم الأمة له، لهذا کانت تذهب الی قبر أبیها لتبثَّ الیها آلامها و أحزانها و ما آل الیه حالها، فقد قالت ذات مرّة: «یا أبتاه بقیت و الهةً و حیرانةً فریدة، قد انخمد صوتی و انقطع ظهری و تنغص عیشی». ومرةٍ أخری نراها تقول: قُل للمُغیّبِ تَحتَ أطباقِ الثّری انْ کُنتَ تَسمَعُ صَرخَتی وَ نِدائیا صُبّتْ عَلیَّ مَصائِبٌ لَوْ أنَّها صُبّتْ عَلی الایّامِ صِرنَ لَیَالِیا قدْ کُنْتُ

ذاتَ حِمی بِظلِّ مُحمّدٍ لا أخْشَی مِن ضَیمَ و کان حماً لِیا فالیومْ أخشعُ لِلذّلِیلِ وَ أتَّقی ضَیْمی وَ أدْفَعُ ظالِمی بِردائِیا اذا بَکَتْ قُمْریّة فی لَیلِها شَجَناً عَلی غُصْنٍ بَکیتُ صَباحیا فلأجْعَلنَّ الحُزنَ بِعَدَکَ مُونِسی وَ لأجْعَلَنَّ الدّمْعَ فِیکَ وِ شاحِیا ماذا عَلی مَنْ شَمَّ تُربةَ أحمدٍ أنْ لا یَشُمَّ مَدی الزّمانِ غَوالِیا لماذا بکت فاطمة بهذا الشکل؟ لم کلُّ هذا الجزع؟ لماذا عدم الارتیاح هذا، کأنها الحرمل علی النار؟ لماذا؟ لنسمع منها جوابها علی هذه التساؤلات. تقول أم سلمة: بعد وفاة الرسول الکریم ذهبت لزیارة و تفقد حال سیدة الاسلام فاطمة الزهراء فلخصت لی حالها بهذه الجمل العمیقة: أصبحت بین کمدٍ و کرب الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۳۲ فقد النبیِّ و ظلم الوصی هُتکَ و اللَّه حجابه ... ولکنها أحقاد بدریة و ترات أحدیة کانت علیها قلوب النفاق مکتمنة. «۱» و رغم ذلک لم یخف علی أحد ما تحملته فی سبیل الدفاع عن الحرمة العلویة المقدّسة و حمایة أمیر المومنین علی بن أبی طالب. فبالرغم من قصر حیاتها بعد أبیها، حیث استجاب اللَّه سبحانه و تعالی دعاءها و لبّت بدورها نداء الباری «عز و جل» لتنتقل الی جوار ربّها و تسارع لرؤیة أبیها، بالرغم من ذلک فقد بذلت کلَّ ما فی وسعها من فداءٍ و تضحیةٍ فی الدفاع عن الاسلام و التذکیر بحق أمیر المومنین علی. صلی اللَّه علیک یا بنت رسول اللَّه و رحمة اللَّه و برکاته. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۳۳

فضائل الزهراء علیها السلام

اشارة

یجدر بالذکر هنا أن کل الاحادیث المذکورة فی هذا القسم و التی تصل الأربعین حدیثاً قد نقلت من مصادر أهل السنّة المشهورة و المعروفة مع ذکر أدلتها.

منزلة فاطمة علیها السلام

یتبادر الی ذهن البعض من الذین یجهلون أو یتجاهلون الحقائق أن الفضائل الکریمة المذکورة لأهل بیت النبوّة، و منزلتهم السامیة انّما تعزی الی حسن ظنِّ مواهیم و تعلقهم الشدید بآل محمّد. فلأنهم یعشقون آل البیت لذا فهم لایرون الامور الّا من هذا المنظار، فکل ما یُروی عنهم من فضیلة یؤمن بها الموالی دون أن یعیروا أهمیةً لسندها و مدی صحتها. و لرفع سوء الظَّنِّ من أولئک البعض، و لزیادة اطمئنان المحبین و الموالین فسوف نلجأ الی مصادر المذاهب الاخری المشهورة و کتبهم المعروفة لننقل ما جاء فیها من احادیثٍ و فضائل عن أهل بیت النبوّة. لقد ذکرنا من قبل فضائل سیدة النساء فاطمة الزهراء من خلال شرح موجزٍ لحیاتها المبارکة، و غایتنا فی هذا القسم من الکتاب أن نطلع علی المقام المعنوی الرفیع لبنت رسول اللَّه (و من خلال کتب أهل السنّة المشهورة). و قبل الدخول فی صلب هذا البحث، نری من اللازم أن نذکر بعض النقاط المهمة: ۱- من الظریف أن معظم المناقب و الفضائل التی ذکرت فی کتب الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۳۶ الشیعة عن فاطمة الزهراء، قد ذکرها أهل العامة فی کتبهم المشهورة أیضاً، الّا القلیل منها، و التی ذکرت فی مصادر الشیعه المعتبرة دون أن ترد فی کتب الاخرین. ۲- لم یُنقل فی هذا القسم من الکتاب الذی بین یدیک أی روایةٍ عن کتب الشیعة، کما اقتصرنا علی کتب الحدیث و التاریخ المشهورة و المعتمدة من بین جمیع کتب و مصادر العامة. ۳- من المثیر للدهشة، تلک العاصفة الهوجاء التی حلت بالأمة الاسلامیة بعد وفاة رسول اللَّه بسبب الخلافة، و التی کانت تستبطن حرف مسار الخلافة عن آل بیت محمد الی أشخاص آخرین، فبعد أن نصَّبهم اللَّه سبحانه و تعالی خلفاءً للنبیِّ فی حیاته قام هولاء الأشخاص بتنحیتهم عنها و الاستیلاء علی مسند الخلافة بعد وفاته. اقصاء أهل البیت سبّب أن قام الحکّام بمحو فضائلهم و مناقبهم، و بالتالی محو ما یُثبت أولویتهم و أحقیتهم بخلافة رسول اللَّه محمد. بالاضافة الی أنّ اثبات تلک الفضائل و المناقب ستدعو الجمیع للتساؤل ما معنی أن یتصّدی الاخرون لهذا الامر و أهل بیت النبوة یتمتعون بهذه المنزلة و هذا المقام؟! لم لا نقدم من قدمه اللَّه

تعالی و الرسول؟ و لماذا یحرم المسلمون من بحر علوم هولاء؟ لماذا ... و لماذا؟ لذا یتضح لنا أن محو أو تجاهل تلک الفضائل کان جزءاً من خططهم السیاسیة. وقد بلغت هذه المسألة أوجها فی عصر حکومة «بنی أمیة» و «بنی العباس»، و لم یکن فی السر أو فی الخفیة بل علناً و أمام الملأ، و لم الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۳۷ یکتفوا بمحو فضائل أهل البیت فحسب بل و بدأوا باثبات فضیلة الاخرین من خلال نشر أحادیث و روایات موضوعة کاذبة، حتی وصل بهم الأمر الی شراء بعض الصحابة- أو أشباه الصحابة- لهذا العمل القبیح، و أجزلوا لهم العطاء. فلقد رُوی أنَّ معاویة سلّم لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتی یروی أنّ الایتین الشریفتین التالیتین قد نزلتا فی علی بن أبی طالب و هما: ی وَمِنَ النَّاسِ مَن یُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی الْحَیَاةِ الدُّنْیَا وَیُشْهِدُ اللّهَ عَلَی مَا فِی قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّی سَعَی فِی الْأَرْضِ لِیُفْسِدَ فِیهَا وَیُهْلِکَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لَا یُحِبُّ الْفَسَادَ «۱» ی. و أنَّ الایة التالیة: ی وَمِنَ النَّاسِ مَن یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّهِی «۲» قد نزلت فی عبدالرحمن بن ملجم. فلم یقبل فبذل له مائتی ألف درهم فلم یقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم یقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل و روی ذلک. و بهذا الشکل أصبح ذکر مناقب و فضائل آل البیت ممنوعاً علی المنابر و فی المجالس بل و یُعدُّ جرماً سیاسیاً فی رأی النظام الحاکم، و من یخالف فقد حلّ علیه غضب النظام، فیسجن فی بئرٍ مظلم أو یقطعوا لسانه أو یصلبوه. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۳۸ بعد ما جاء معاویة الی المدینة، حذر الصحابی و المفسر المعروف «ابن عباس» الذی کانت له مکانةً خاصةً فی المجتمع الاسلامی من ذکر فضائل علیٍّ بن أبی طالب قال ابن عباس لمعاویة: أتمنع قراءة القران؟ (یعنی أنی أتلو الایات التی وردت فی حقِّ علی). قال: اقرأ القران ولکن لا- تفسر آیاته! لقد قدر فی مثل هذه الظروف أن تمحی فضائل آل البیت، لاسیما أن وسائل الاعلام آنذاک کانت مقتصرة علی هذه المنابر و خطب الصلاة. ولکن العجیب أن فضائل و مناقب آل بیت النبی لم تختف رغم الجوِّ المشحون الذی صنعه المنافقون و انّما ملأت کتب الصدیق و العدو أیضاً. و الاعجب من ذلک أن نشاهد من بین تلک الوثائق التی تدل علی فضائلهم اعترافاتٍ صریحةٍ لاشخاصٍ مثل «معاویة» و «عمرو بن العاص» و بعض الخلفاء المتقدمین یثبتون بها تلک الفضائل و المناقب التی کان یتمتع بها آل البیت، علماً أنّ هذه الاعترافات قد أرّختها أیدی مؤرخیهم علی صفحات التأریخ! وما ذلک الّا دلیل علی مشیئة اللّه فی فضح المنافقین، و اعجاز کبیرٍ لاهل بیت العصمة.

۴- أظهر الساعون فی محو فضائل آل بیت الرسول الکثیر من التعصّب، حیث لم یکتفوا بتشویه سمعة أمیر المؤمنین علی و أبنائه الکرام و درج أسمائهم فی القائمة السوداء لاولئک الحاقدین، و انما سعوا الی هدم و تحطیم مکانتهم الاجتماعیة. و الأمر من ذلک أنهم عمدوا الی الحاق الأذی و الاساءة بکل کلِّ من له علاقه بآل بیت محمد أیاً کان نوعها. فلماذا یصر البعض علی رغم الاثار و الدلائل التأریخیة التی تشیر الی الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۳۹ ایمان أبی طالب عم و حامی الرسول بأنه مات کافراً و مشرکاً؟! زاعمین أن الایة الشریفة. «و هُمْ یَنْهَون عنه و ینؤن عنه» «۱» قد نزلت فیه! لا لشیء سوی أنه والد أمیر المومنین علی. و لماذا اصرار هم علی أنّ «باذر الغفاری» ذلک الرجل الشجاع، ذو «مذهبٍ اشتراکی»، حیث یتهمونه فی کتبهم بأنّه یحمل عقائداً اشتراکیة؟! لیس الا- ... کونه من خلّص أصحاب أمیر المؤمنین، و من المعترضین علی الخلیفة الثالث فی مسألة اتلاف و هدر مال المسلمین. و هناک الکثیر من مثل هذه التساؤلات. فیاتری بعد هذه المعاداة، ألا یعجب المرء من وجود کلِّ هذه الفضائل و المناقب لال البیت فی کتب مخالفیهم؟ ألیس من المعجزة أن تعبر أحادیث تحکی فضائل آل محمد عصوراً و أزمنة حارب فیها الحکام محبی آل البیت بشتی الطرق، حتی أنهم کانوا یعتبرون تسمیة المولود باسم علیٍّ جرماً لایُغتفر؟! ۵- المثیر للدهشة أن حذف تلک الفضائل لم یکن منحصراً بالقرون الاولی للاسلام، أو بعصر بنی أمیة و بنی العباس فقط، ففی العصر الحاضر الذی یسمی «عصر المطالعات و الدراسات التاریخیة الدقیقة» حیث طبع الکتب الاسلامیة، و نشرها فی مختلف الدول الاسلامیة لذا فانّ أیَّ تغییر أو تحریفٍ أو حذف للحقائق یسبّب فضیحة کبیرة، رغم ذلک نری الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۴۰ محققون متعصبون»! (ان أمکن الجمع بین التحقیق و التعصّب) قد انتهجوا نفس أسلوب الامویین و العباسیین فی حذف و تغییر و تحریف الحقائق. مما حدی بالعلامة «الامینی» و هو المحقق الاسلامی الکبیر الی أن یذکر فی کتابه «الغدیر» بعضاً من النماذج. منها کیف أن المؤرخ المعروف «الطبری»

حرّف الحدیث المربوط بقصة یوم الدار و تفسیر آیة «و أنذر عشیر تِکَ الأقربین» و استعداد علیٍّ للوقوف بجانب رسول اللّه و اعلانه بوصایة و وزارة علی من بعده، حرف کل ذلک رغم سند الحدیث المعتبر عند کلِّ المذاهب. و الأسوأ من ذلک ما فعله «محمد حسین هیکل» حیث نقل الحدیث فی الطبعة الاولی من تأریخه ثمَّ حذف القسم الاهم من الحدیث فی الطبعة التالیة. «۱» و الان و کما قلنا آنفاً فانّنا سنذکر مناقب فاطمة الزهراء و مقامها الرفیع من خلال الاحادیث التی نقلتها کتب العامة المشهورة. و کما ذکرنا أیضاً فسوف لن ننقل أی حدیثٍ من مصادر و طرق الشیعة (رغم أنها معتبرةً جداً و من الدرجة الاولی) فنخلی المیدان لاحادیث الاخرین حتی یتبین أن تألق هذه السیدة لا یمکن أن یخفیه الستار الذی ألقاه الحاقدون. یتمّ التر کیز هنا علی عشر مباحث تعتبر محاور أصلیةٍ للموضوع وأن الزهراء: ۱- أنها سیدة نساء العالمین. ۲- حوراء أنسیة. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۴۱ ۳- محبوبة الرسول و بضعته. ۴- مقربة الی اللّه یرضی لرضاها و یغضب لغضبها. ۵- صاحبة التضحیة الکبری و الفداء. ۶- المقام العلمی لفاطمة. ۷- کرامات سیدة النساء. ۸- أوّل من یدخل الجنة. ۹- أسامی فاطمة. ۱۰- هدیة النبی لابنته الزهراء. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۴۲

سیدة نساء العالمین

من الطبیعی أن تختلف منزلة البشر من واحدٍ لاخر. فمنهم من علا بفضیلته علی الملائکة المقربین، و منهم من هو أحطَّ من الحیوانات. و طبقاً لما ینصُّ علیه القران و یوصی به الاسلام فانَّ «العلم و الایمان و التقوی و الصفات الانسانیة الفاضلة» هی التی ترفع من مقام الانسان و قیمته. و بالاستناد الی هذه المعاییر فان سیدة فاطمة الزهراء- و علی لسان رسول اللّه- سیدة نساء العالمین. لقد ورد فی مصادر أهل السنة المعروفة کثیراً من الروایات تنصُّ علی أن فاطمة الزهراء أفضل نساء العالمین، حیث تحدث الرسول، بهذه لعدة مراتٍ و بتعابیر مختلفة. ۱- قال: «ان أفضل نساء الجنة خدیجة بنت خویلد و فاطمة بنت محمدٍ و مریم بنت عمران و آسیة بنت مزاحم». «۱» ۲- و نقرأ فی حدیث آخر للرسول حین اعتل علة الموت عندما شاهد قلق و اضطراب فاطمة انه قال: «یا فاطمة ألا ترضین أن تکونی سیدة نساء العالمین، و سیدة نساء هذه الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۴۳ الامة، و سیدة نساء المؤمنین». «۱» و هنا تظهر أفضلیة فاطمة المطلقة، حیث لم یورد الرسول فی حدیثه اسماً آخر. ۳- نقل أبو نعیم الأصبهانی عن جابر بن سمرة. قال: جاء نبیّ اللّه فجلس و قال: ان فاطمة وجعة فقال القوم: لو عدناها؟ فقام فمشی حتی انتهی الی الباب- و الباب علیها مصفق- قال، فنادی: شُدّی علیک ثیابک فان القوم جاؤوا یعودونک. فقالت: یا نبیّ اللّه ما علیَّ عباءة. قال فأخذ رداءً فرمی به الیها من وراء الباب، فقال: شدّی بهذا رأسک، فدخل و دخل القوم فقعد ساعة فخرجوا، فقال القوم: تاللّه بنت نبیّنا علی هذا الحال؟ قال فالتفت فقال: «أما انّها سیدة النساء یوم القیامة». «۲» ۴- و بتعبیر آخر رواه صحیح «۳» البخاری- و هو من أشهر مصادر الحدیث عند العامة- نقلًا عن عائشة أنها قالت: أقبلت فاطمة کأنّ مشیتها مشیة رسول اللّه فقال: مرحباً بابنتی ثم أجلسها عن یمینه ثم أسرَّ الیها حدیثاً فبکت. فقلت استخصک رسول اللّه و أنت تبکین ثمَّ أنّه أسرَّ لها فضحکت. قالت: فقلت لها ما رأیت کالیوم أقرب فرحاً من حزن، ما أسر الیک؟ الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۴۴ فقالت فاطمة: ما کنت لأفشی سرّ رسول اللّه. حتی اذا قبض الرسول سألتها، فقالت: انّه أسرّ الیّ و قال: کان جبرئیل یعارضنی بالقران فی کلّ عام و أنّه عارضنی به هذا العام مرتین و لا أراه الّا قد حضر أجلی و أنک أول أهلی لحوقاً بی و لنعم السلف أنا لک، فبکیت لذلک فقال أما ترضین أن تکون سیدة نساء أهل الجنة و نساء المومنین؟! فذلک الذی أضحکنی. ویُتضح جیداً من التأمل فی هذه الاحادیث أنه اذا قیل أنّ فاطمة واحدة من أربع من النساء الفاضلات، فان ذلک لا ینافی کونها أفضل تلک النساء الأربع. ودلیلنا علی هذا ما یفیده الحدیث التالی: * ۵- نقل فی کتاب «ذخائر العقبی» عن ابن عباس أن الرسول الکریم قال: «أربع نسوةٍ سیدات سادات عالمهنَّ: مریم بنت عمران و آسیة بنت مزاحم و خدیجة بنت خویلد و فاطمة بنت محمد و أفضلهن فاطمة «۱» و بالطبع فان کلمة «أفضلهن» تشتمل علی عدة معان و تشیر الی المنزلة العلمیة و التقوی و الایثار و سائر الملکات الفاضلة.

لقد صرّح القران قائلًا: أن الملائكة كانت تكلم مريم، كما فی الاية الشريفة: ی اذ قالت الملائكة يا مريم انَّ اللّه اصطفاك و طهرك و اصطفاك على نساء العالمين. «۲». و قد كلمت مريم الملائكة و هذا ما تنص عليه آية ۱۶ الى آية ۲۱ من الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۴۵ سورة مريم و ينص القران على أنه كان يؤتى لمريم بطعام من الجنة. حيث نقرأ فی الاية الشريفة: ی فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ی «۱» و يصفها فی مكانٍ آخر بأنها «صديقة»، كما فی الاية الشريفة: ی مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ی «۲» و غير ذلك من الفضائل التی يثبتها للسيدة مريم و باقی النساء الفاضلات كآسية بنت مزاحم، و كذلك يثبت النبی مثل هذه الفضائل و الكرامات للسيدة خديجة الكبرى. و من هذا المنطلق نعرف أنَّ لفاطمة مقام عالی أو منزلة رفيعة مكرمة، خصوصاً ما جاء فی رواية «الأفضيلة» التی تدل على أنَّ هذه المفاخر و المناقب هی فی الواقع جزء مما تتحلى و تتميز به فاطمة. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۴۶

حوراء انسية

ان اللبنة الاولى فی بناء كيان الانسان هی انعقاد «النطقة»، لأنها على أية حالٍ تحمل قسماً مهماً من قيمه الوجودية. و لذلك تواترت الروايات التی توصی بضرورة سلامة هذه اللبنة و صحة تكوينها. و عند ما نطالع تأريخ حياة سيدة النساء نرى أنها قد امتازت فی هذا المجال عن جميع شخصيات العالم رجالًا و نساءً. و من الأفضل أن نسمع هذا الحديث من فم رسول اللّه: * ۶- عن ابن عباس قال: كان النبیّ يكثر تقبيل فاطمة فقالت له عائشة: انك تكثر تقبيل فاطمة. فقال: انّ جبرئيل ليلة أسرى بی أدخلنی الجنة فأطعمنی من جميع ثمارها فصار ماءً فی صلبی فحملت خديجة بفاطمة «فاذا اشتقت لتلك الثمار قبلت فاطمة فأصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التی أكلتها». «۱» * ۷- و جدير بالذكر أنّ بعض الروايات قد نصت على فاكهة «التفاح»، كما هو فی كتاب «ذخائر العقبى» حيث ينقل «الطبرى» حديثاً للرسول الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۴۷ عن جمع من الصحابة أنه قال: «لما أسرى بی أدخلنی جبريل الجنة فناولنی تفاحةً فأكلتها فصارت نطفةً فی ظهری فلما نزلت من السماء واقعت خديجة. ففاطمة من تلك النطقة» «۱» * ۸- و قد نقل فی حديث آخر أن الرسول قد تناول فاكهة «السفرجل» عند مروره بالجنة ليلة المعراج. جاء ذلك فی «مستدرك الصحيحين» نقلًا عن «سعد بن مالك». «۲» * ۹- و جاء فی حديثٍ آخر أن الفاكهة التی تناولها الرسول كانت غير معروفةٍ لأهل الدنيا، كما أنها كانت لذيذةً و عطرة النكهة حيث نقل «السيوطی» فی «الدرّ المنثور» عن الرسول أنه قال: «لما أسرى بی الى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرةٍ من أشجار الجنة لم أر فی الجنة أحسن منها و لا- أبيض ورقاً و لا أطيب ثمرةً، فتناولت من ثمرتها، فأكلتها فصارت نطفة فی صلبی، فلما هبطت الى الارض واقعت خديجة، فحملت بفاطمة، فاذا أنا اشتقت الى ريح الجنة شممت ريح فاطمة» «۳» و فی الواقع فانّ الحديث الأول فی هذا الفصل يحوی و يفسر مجموع هذه الاحاديث، فطبقاً لما جاء فيه فان الرسول قد تناول من جميع فواكه الجنة و أنَّ نطفة فاطمة قد انعقدت من عصارة تلك الثمار. هذا مع الاخذ بنظر الاعتبار أن الدنيا التی نعيشها تختلف عن عالم الجنة بقدرٍ تعجز معه ألفاظنا عن تبيان حقائقها، و ما نذكره عنها ما هو الّا اشارات مختصرة لما تتمتع بها. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۴۸ على كلِّ حال فان حوراءً أنسية بالمواصفات الخلقية و الطبيعية لاهل الجنة لابد و أن تكون نطفتها من عصارة فاكهة الجنة، و هذا ما امتازت به هذه السيدة على سائر نساء العالمين. كانت من نساء الجنة، نفسها و خلقتها، قلبها و روحها، لونها و هيئتها، قولها و حديثها، و غير ذلك من صفات و ميزات أهل الجنة، و خلاصة القول أنها من الجنة من رأسها الى أخمص قدميها. فهل فی تاريخ البشرية مثل هذا الوسام المشرف لغير هذه السيدة؟

فاطمة علیه السلام أحب الناس الی الرسول الکریم صلی الله علیه و آله

الحب و العشق، أقوی ما یربط بین موجودین. یفید قانون الجاذبیة الذی یحکم عالم المادة أن قوة الجذب تتناسب طردیا مع حاصل ضرب الکتلتین و عکسیا مع مربع المسافة بینهما. و یسری حکم هذا القانون فی العالم المعنوی و العشق الالهی أیضاً. فکلما سمت قیمة الأشخاص و تقاربت نفوسها زادت علاقة الحب و العشق بینها! مع وجود اختلافٍ بسیطٍ یختص به عالم المادة، فأحیاناً یولد الاختلاف و التضاد تجاذباً بین الجسمین (کما فی التجاذب الحاصل بین الشحنتین الموجبة و السالبة)، علی خلاف ما یحدث فی عالم الأرواح حیث تقوی رابطة الجذب کلما زاد الشبه فیما بینها، و تضعف إذا ما وجد التضاد و الاختلاف. نتجه بعد هذه المقدمة القصیرة صوب عالم الأحادیث، لنتعرف علی مدی علاقة الرسول الکریم صلی الله علیه و آله بابنته فاطمة الزهراء علیها السلام، و إلی أیِّ مقدارٍ کان یحبها؟ * ۱۰- یُروی عن عائشة أنها قالت: «ما رأیت أحداً أشبه کلاماً و حدیثاً من فاطمة برسول اللَّه صلی الله علیه و آله و کانت الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۵۰ إذا دخلت علیه رحب بها، و قام إلیها، فأخذ بیدها فقبلها، و أجلسها فی مجلسه». «۱» * ۱۱- و جاء فی روایةٍ أخری. «کان کثیراً ما یقبل عرف فاطمة». «۲» * ۱۲- و تنص روایة ثالثة علی «کان کثیراً ما یقبلها فی فمها». «۳» * ۱۳- لقد کان الرسول صلی الله علیه و آله یظهر الکثیر من محبته لفاطمة علیها السلام حتی أثار ذلک حفیظة عائشة، حیث قالت لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله. «یا رسول اللَّه ما لک إذا جاءت فاطمة قبلتها حتی تجعل لسانک فی فیها کله کأنک ترید أن تطعمها عسلًا؟! قال صلی الله علیه و آله: نعم یا عائشة، انی لما اسری بی الی السماء ... و قصَّ علیها قصة ثمار الجنة التی تناولها». «۴» * ۱۴- و جاء فی صحیح أبی داوود «کان رسول اللَّه صلی الله علیه و آله اذا سافر کان آخر عهده بانسانٍ من أهله فاطمة علیها السلام و أول من یدخل علیه اذا قدم فاطمة علیها السلام» «۵» کما نقل «أحمد بن حنبل» هذه الروایة فی مسنده. «۶» لکن نعلم أن للحب و الحنان الواقعیین طرفان، فالحنان المطلق له الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۵۱ جانب سلبی، و یکون سطحیاً عدیم القیمة، و کما أسلفنا فان العشق الواقعی دلیل علی التشابه، و عند ما یحصل التشابه ستتولد الجاذبیة بین الطرفین. لذا فان الروایات الاسلامیة تعکس حقیقةً مهمة. ألا و هی أن العلاقة التی کانت تربط الرسول صلی الله علیه و آله بابنته فاطمة الزهراء علیها السلام کانت علاقة متبادلة و بنفس الشدة. و الیک شواهد ما أشرنا الیه: * ۱۵- جاء فی صحیح مسلم عن عبداللَّه بن عمر بن محمد بن أبان الجعفی، بینما رسول اللَّه، یصلی عند البیت و أبوجهل و أصحابه له جلوس و قد نحرت جزور بالأمس فقال أبوجهل: أیکم یقوم الی سلا جزور بنی فلان فیأخذه فیضعه فی کتفی محمد اذا سجد، فانبعث أشقی القوم فأخذه فلما سجد النبی صلی الله علیه و آله وضعه بین کتفیه، قال فاستضحکوا و جعل بعضهم یمیل الی بعضٍ و أنا قائم أنظر لو کانت لی منعة طرحته عن ظهر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، و النبی صلی الله علیه و آله ساجد ما یرفع رأسه حتی انطلق انسان فأخبر فاطمة فجاءت و هی جویریة فطرحته عنه ثم أقبلت علیهم تشتمهم فلما قضی النبی صلی الله علیه و آله صلاته رفع صوته ثم دعا علیهم، و کان اذا دعا دعا ثلاثاً و اذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال اللَّهمَّ علیک بقریش ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحک و خافوا دعوته ثم قال: اللّهمَّ علیک بأبی جهل بن هشام و عتبة بن ربیعة و شیبة بن ربیعة و الولید بن عتبة و أمیة بن خلف و عقبة بن أبی معیط. فوالذی بعث محمداً صلی الله علیه و آله بالحق لقد رأیت الذی سمی صرعی یوم بدر ثم سحبوا الی القلیب قلیب بدر» «۱» الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۵۲ نعم، لقد کانت الزهراء علیها السلام منذ صغرها خلیطاً من «المحبة» و «الشجاعة»، و هی دائماً علی أهبة الاستعداد فی الدفاع عن أبیها صلی الله علیه و آله. * ۱۶- و نطالع أیضاً فی نفس المصدر السابق عن أحداث غزوة أحد ما یأتی: «قال سهل بن سعد: جرح وجه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و کسرت رباعیته و هشمت البیضة علی رأسه فکانت فاطمة بنت رسول صلی الله علیه و آله تغسل الدم و کان علیٌّ بن أبی طالب یسکب علیها بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لایزید الدم الّا کثرة، أخذت قطعة حصیرٍ فأحرقته حتی صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسک الدم». «۱» * ۱۷- نقل «أبو نعیم الاصفهانی» فی «حلیة الاولیاء» عن علیّ بن محمد بن اسماعیل عن ... عن أبی ثعلبة الخشنی أنه قال: قدم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله من غزاةٍ له فدخل المسجد فصلی فیه رکعتین- و کان یعجبه اذا قدم أن

یدخل المسجد فیصلی فیه رکعتین- ثم خرج فأتی فاطمة فبدأ بها قبل بیوت أزواجه فاستقبلته فاطمة علیها السلام و جعلت تقبل وجهه و عینیه و تبکی. فقال لها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: ما یبکیک؟ قالت: أراک قد شحب لونک. فقال لها: یا فاطمة، انّ اللَّه عزّ و جلّ بعث أباک بأمرٍ لم یبقَ علی ظهر الارض بیت مدرٍ و لا شعر الا أدخله به عزاً أو ذُلًا یبلغ حیث بلغ اللیل. «۲» * ۱۸- و روی فیما روی عن أحداث الخندق عن علیٍّ علیه السلام فی حفر الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۵۳ الخندق اذ جاءته فاطمة بکسرةٍ من خبز فرفعتها الیه فقال ما هذه یا فاطمة، قالت: من قرصٍ اختبزته لابنیَّ جئتک منه بهذه الکسرة. فقال: یا بنیة أما أنها لاول طعام دخل فم أبیک منذ ثلاث. «۱» ما أعظم قوی الجذب التی تربط بین هذا الاب و ابنته؟ جاذبیة متأصلة فی أعماق روحیهما، و محبة قد ارتشفت من منبع وجود هما، و علاقة عشقٍ تمخض عنها اتحاد روح الأب بروح ابنتهالملکوت الأعلی فهل هناک أفضل من هذا الافتخار لفاطمة الزهراء علیها السلام؟. فخر و فضیلة لم تکن لأی أحدٍ عبر تأریخ الاسلام سوی لمعلمها علی ابن أبی طالب علیه السلام. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۵۴

قرب فاطمة علیها السلام من الله

نعلم أن الفناء هو أعلی مراتب القرب من اللَّه سبحانه و تعالی. «الفناء» یعنی تجاهل و نسیان کل شیءٍ، و کل ذی نفس، بل و حتی الذات فی مقابل الخالق الجبار. أی أن یصل المرء الی مرحلةٍ لا یری فیها الوجود الدنیوی الّا سراباً، و لا یشاهد هذا العالم المخلوق الا کظلٍّ باهت زائل. یری اللَّه فی کل مکان، و یبحث عنه فی کلِّ مکان. کالفراشة التی تدور حول شمعةٍ تحترق، یصهر ذاته فی وجود اللَّه، فلا یری قیمةً لکیانه فی حضرة الاله. یعد «التسلیم المطلق» لا رادة اللَّه «سبحانه و تعالی و احداً من الآثار المرتبة علی وصول المرء لهذا المقام، فما یریده اللَّه هو المراد، و ما یحبه هو الأصلح. فرضاه من رضا اللَّه، و رضا اللَّه من رضاه. و بهذه المعاییر العرفانیة نتوجه صوب المقام العرفانی لسیدة نساء العالمین و نتعرف علی مدی سمو منزلتها عند اللَّه و نطلع علی الحقیقة التی أشار الیها رسول الاسلام الکریم صلی الله علیه و آله ۱۹- نصّت الکتب المعروفة لأهل السنة علی الکثیر من الروایات التی الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۵۵ تشیر الی أن الرسول صلی الله علیه و آله قال لا بنته فاطمة الزهراء علیها السلام: «ان اللَّه یغضب لغضبک و یرضی لرضاک». «۱» ۲۰- ورد فی «صحیح البخاری» الذی یعد من أشهر مصادر الحدیث عند العامة أن الرسول «ص» قال: «فاطمة بضعة منی فمن أغضبها فقد أغضبنی». «۲» ۲۱- و نطالع فی مکانٍ آخر من نفس المصدر هذا الحدیث: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله. «فانما هی فاطمة بضعة منی یریبنی ما أرابها و یؤذینی ما آذاها». «۳» و کما أشرنا سابقاً فانَّ الأحادیث کثیرة فی هذا المجال، و کلها تحکی عن المقام العالی لفاطمة الزهراء علیها السلام فی معرفة الخالق و عن درجة عصمتها و إیمانها و إخلاصها. فقد سمت بمقامها إلی اللَّه سبحانه و تعالی حتی صار رضاها و غضبها مرآةً لرضا اللَّه و رسوله و سخطهما، و لا یمکن أن تعادل هذه الدرجة السامیة بأی شیء. ۲۲- و ننهی بحثنا هذا بحدیثٍ آخر ینقله لنا «صحیح الترمذی» فقد قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «إنما فاطمة بضعة منی یؤذینی ما آذاها و ینصبنی ما نصبها». «۴» من البدیهی أنه لا یمکن لظاهرة الحنان التی تربط الوالد بولده أن الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۵۶ تفسر هذا الأمر أن النبیّ «ص» رسول اللَّه لا یرید إلّا ما أراد اللَّه، و أن رضا و سعادة فاطمة علیها السلام من رضا اللَّه و رسوله ما هو إلّا دلیل علی صهر إرادتها فیما یریده اللَّه و یرضاه. لا بد من الإشارة هنا إلی نقطةٍ مهمة، و هی أن فسر البعض جملة «فاطمة بضعة منی» علی أنها جزء من جسد الرسول صلی الله علیه و آله فی الوقت الذی یدل مفهوم الحدیث علی أن فاطمة علیها السلام جزء من کیان و وجود أبیها محمّد صلی الله علیه و آله و من الناحیتین المادیة و الروحیة. و هذا ما ستشیر إلیه الروایات التی سنستعرضها إن شاء اللَّه تعالی الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۵۷

زهد فاطمة علیها السلام

«حب الدنیا رأس کل خطیئة». بالاستناد إلی الحدیث النبوی الشریف و إلی ما تمخضت عنه تجاربنا و مشاهداتنا فی الحیاة فإنَّ کلَّ التجاوزات، الجنایات، الأکاذیب، الخیانات، الظلم کانت نتیجة لحب «المال» و «الجاه» و «الشهوة»، هنا یتضح أن الزهد و الورع هما أساس التقوی و الطهارة و الصلاح. و لکن یجب معرفة ماهیة الزهد، فالزهد لا یعنی ترک الدنیا و الرهبنة و الاعتزال عن المجتمع، بل أن حقیقة الزهد هی الحریة و عدم الوقوع فی شراک الدنیا. فالزاهد من لم یتعلق قلبه بالدنیا و ان کانت عنده فلو أحس یوماً بأن رضا اللَّه سبحانه و تعالی منوط بترکه لما فی یدیه کان مستعداً لهذا العمل، و یقول من أعماقه: یا لیت بینی و بینک عامر و بینی و بین العالمین خراب. و إذا استدعی الحفاظ علی الحریة و الشرف و الإیمان أن یضحی بحیاته و روحه و ماله لم یتوان فی ذلک و یصرخ من أعماقه هیهات منا الذلة. و علی حد قول القرآن الکریم فی تعریفه للزاهد: الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۵۸ ی لکیلا تأسوا علی ما فاتکمو لا تفرحوا بما آتاکمی «۱» بعد هذه المقدمة القصیرة نتوجه إلی أحادیث رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و نتعرّف من خلالها علی وجهة نظره بشأن بشخصیة فاطمة علیها السلام. ۲۳- نقل «ابن حجر» و آخرون فی روایةٍ عن الرسول صلی الله علیه و آله: «أخرج أحمد و غیره ما حاصله أنه صلی الله علیه و آله کان إذا قدم من سفر أتی فاطمة و أطال المکث عندها ففی مرة صنعت لها مسکین من ورق و قلادة و قرطین و ستر باب بیتها فقدم صلی الله علیه و آله و دخل علیها ثم خرج و قد عرف الغضب فی وجهه حتی جلس علی المنبر فظنت أنه إنّما فعل ذلک لما رأی ما صنعته فأرسلت به إلیه لیجعله فی سبیل اللَّه، فقال فعلت فداها أبوها ثلاث مرات، لیست الدنیا من محمدٍ و لا من آل محمدٍ و لو کانت الدنیا تعدل عند اللَّه فی الخیر جناح بعوضة ما سقی منها کافراً شربة ماء، ثم قال فدخل صلی الله علیه و آله علیها». «۲» من الواضح أن یکون ثمن السوارین و القرطین الفضیین و العقد الفضی زهیداً، و الأزهد ثمناً منها ذلک الستار الذی یعلقه الإنسان علی باب الغرفة، غیر أن الرسول «ص» کان یعتبر أن ذلک لیس من شأن فاطمه علیها السلام، بل یری أن فضیلتها و کرامتها تکمن فی خصالها الإنسانیة. تعلمت فاطمة علیها السلام هذا الدرس من أبیها مباشرةٍ، حیث رمت بالدنیا و زخرفها جانباً محرّرة نفسها من ذلک الأسر من ناحیة و أنفقت ما فی یدها فی سبیل اللَّه من ناحیةٍ أخری الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۵۹ لقد عرفنا من خلال الحدیث الذی سبق ذکره- برقم ۳- نقلًا عن کتاب «حلیة الأولیاء» لم تکن تملک الحجاب الکافی عند مجیء الرسول صلی الله علیه و آله و أصحابه لعیادتها، مما حدا به صلی الله علیه و آله أن یناولها عباؤته لتستر نفسها و تستعد للضیوف الذین جاؤوا لعیادتها. إنّ جهاز فاطمة علیها السلام و مراسم الزفاف التی جرت بمنتهی البساطة، و تفانیها فی القیام علی شؤون بیتها، حیث تحضن طفلها فی إحدی یدیها و فی الأخری تطحن الشعیر لتهیء لهم الخبز، کل ذلک شواهد صادقة علی زهدها العالی و إیمانها الصادق. و یشیر الحدیث التالی إلی هذا المعنی * ۲۴- نقل أبو نعیم الأصفهانی فی «حلیة الأولیاء»: «لقد طحنت فاطمة بنت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله حتی مجلت یدها و ربا، و أثر قطب الرحی فی یدها» «۱». * ۲۵- نقل فی «مسند أحمد» و هو أحد أشهر مصادر أهل السنة عن «أنس بن مالک» أنه قال: إن بلالًا بطأ عن صلاة الصبح فقال له النبی صلی الله علیه و آله ما حبسک فقال: مررت بفاطمة و هی تطحن و الصبی یبکی فقلت لها إن شئت کفیتک الرحا و کفیتینی الصبی و إن شئت کفیتک الصبیَّ و کفیتینی الرحا فقالت أنا أرفق بابنی منک. فذاک حبسنی. فقال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «فرحمتها یرحمک اللَّه». «۲» من الفضائل الأخلاقیة التی تتحلی بها سیدة النساء هی الشجاعة و الشهامة فی دفاعها من أبیها الرسول الکریم صلی الله علیه و آله ضد مشرکی مکة، کما أن الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۶۰ مجیئها الی میدان أُحُدٍ و تضمیدها جراح الرسول صلی الله علیه و آله لم یکن لیخف عن أی أحد، و هذا ما أثبتته الأحادیث التی ذکرناها آنفاً. لقد سارت علی طریق العبودیة و عبادة اللَّه منذ ولادتها، و هی علی هذا الحال إلی أن فارقت روحها الحیاة. و الحدیث الآتی یدل علی هذا المعنی * ۲۶- جاء فی «ذخائر العقبی» ما جاء فی قصة ولادة فاطمة الزهراء علیه السلام و انعقاد نطفتها من ثمار الجنة و حضور النساء الأربع عند ولادتها: «فولدت فاطمة علیها السلام فوقعت حین وقعت علی الأرض ساجدة». «۱» * ۲۷- و نطالع فی نفس المصدر روایةً تدلُّ علی سموها و عفتها، حیث تنقل «أسماء بنت عمیس» هذه القصة العجیبة: قالت فاطمة علیها السلام لأسماء بنت عمیس یا أسماء إنی استقبحت ما یصنع

بالنساء إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها و قالت أسماء: يا ابنة رسول اللّه ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة عليها السلام ما أحسن هذا و أجمله، تعرف به المرأة من الرجل فإذا أنا مت فاغسليني أنتِ و علي و لا يدخل عليَّ أحد. و جاء في نهاية هذا الحديث. إن فاطمة عليها السلام لما رأت النعش تبسمت و ما رُؤيت مبتسمةً بعد النبي صلى الله عليه و آله قط. «۲» الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۶۱

المكانة العلميّة لفاطمة عليها السلام

إنّ حب أولياء اللّه لشخصٍ دون الاخر ليس حبّاً عاديّاً، فلا بد أن يكون قائماً على أسس مهمةٍ منها العلم و الإيمان و التقوى و ما علاقة الرسول الكريم صلى الله عليه و آله القوية بابنته فاطمة الزهراء عليها السلام إلّا دليل على تمتعها بتلك الصفات الفاضلة. إضافةً إلى ذلك، و عند ما يقول عليه السلام: «فاطمة أفضل نساء العالمين» أو «أفضل نساء الجنة» و التي ذكرنا أسانيدها من قبل، فإنّ هذا بحدِّ ذاته دليل على أنّها أعلم نساء العالمين. و بعد ذلك هل يمكن لشخص لم يصل إلى مقام رفيعٍ في العلم و المعرفة أن يكون رضاه من رضا اللّه، و غضبه من غضب الخالق و رسوله؟ كما تبين لنا ذلك في الروايات السابقة. علاوةً على ذلك فقد وردت في المصادر الأسلامية المعروفية روايات مهمةٌ تكشف عن المقام العلمي الرفيع لهذه السيدة العظمية. * ۲۸- نقل «أبو نعيم الأصفهاني عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله أنه قال يوماً لأصحابه ما خير النساء؟ فلم يدرِ الحاضرون ما يقولون، فسار عليَّ عليه السلام إلى فاطمة فأخبرها بذلك. فقالت: فهلّا قلت له خير لهنَّ ألا يرين الرجال و لا يرونهن. فرجع علي عليه السلام فأخبره بذلك. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۶۲ فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله من علمك هذا؟ قال: فاطمة عليها السلام فقال رسول اللّه صلى الله عليه و آله إنّها بضعة مني. «۱» يظهر من هذا الحديث أن أمير المؤمنين علي عليه السلام رغم ما كان يتمتع به من مقام عظيم في العلوم و المعارف الذي اعترف به الصديق و العدو و أنّه باب مدينة علم الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله إلّا أنه كان يستفيد أحياناً من علم زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام. إنّ ما ذكر في نهاية هذه الرواية من أن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال «فاطمة بضعة مني» إنما يشير إلى حقيقةٍ مهمة و هي أن القصد من «بضعة» لا يقتصر على كونها جزء من بدنه فقط كما فسره البعض، بل هي جزء من روح الرسول صلى الله عليه و آله و إيمانه و علمه و فضله و أخلاقه، فهي شعاع من تلك الشمس و قبس من تلك المشكاة. * ۲۹- جاء في «مسند أحمد» عن «أم سلمة»- أو طبقا لرواية أم سلمي أنّها قالت: اشتكت فاطمة شكواها التي قبضت فيه فكنت أمرضها فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكواها تلك قالت و خرج عليٌّ لبعض حاجته فقالت يا أمَه اسكبي لي غسلًا فسكبت لها غسلًا فاغستلت كأحسن ما رأيتها تغتسل، ثم قالت يا أمَه أعطيني ثيابي الجدد فأعطيتها فلبستها ثم قالت يا أمَه قدّمي لي فراشي وسط البيت ففعلت و اضطجعت و استقبلت القبلة و جعلت يدها تحت خدها ثم قالت يا أمه إني مقبوضة الان و قد تطهرت فلا يكشفني أحد فقبضت مكانها قالت فجاء عليٌّ فأخبرته. «۲» الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۶۳ نستدل من هذه الرواية أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تعلم بوقت وفاتها، حيث استعدت للرحيل دون أن تظهر عليها علاماته، و لما كان الإنسان لا يعلم بحلول أجله إلّا بعلم إلهي، لذا فإنّ اللّه سبحانه و تعالى كان يلهم فاطمة عليها السلام. نعم، فقد ارتبطت روحها بعالم الغيب، و حدثتها ملائكة السماء. و طبقاً لما جاءت به الروايات فإنّها أفضل من مريم بنت عمران «أم عيس عليه السلام»، و في هذا الكفاية، إضافةً إلى تصريح القرآن المجيد في أن الملائكة قد تحدثت إلى مريم و هي قد حدثتها- ذكرت ذلك آيات من سورة آل عمران و سورة مريم- لذا فمن الأولى أن تكون فاطمة عليها السلام و هي ابنة رسول اللّه صلى الله عليه و آله محدثة من ملائكة السماء. «۱» الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۶۴

كرامات فاطمة عليها السلام

عندما تقوى روح الانسان، و تمتلىء بالصفات الالهية، و ينال منزلة القرب من اللَّه، فإن إرادته (بمشيئة اللَّه) ستؤثر فى العالم التكوينى و سيحدث له ما يريد. و هذه هى الولاية التكوينية التى تمتع بها أولياء اللَّه، و هى منبع كراماتهم المختلفة التى تميز الأنبياء صلى الله عليه و آله بأعلى مراتبها و هى المعجزات. و لقد حبى اللَّه فاطمة الزهراء عليها السلام بمقدارٍ كبيرٍ من تلك العناية الإلهية. و هذا ما تدلُّ عليه الرواية التالية: * ۳۰- نقل كثير من مفسرى العامة و منهم «الزمخشرى» فى «الكشاف» و «السيوطى» فى «الدرّ المنثور» فى أسفل الاية الشريفة: «كُلما دَخَل علَيْها زَكرِيّا المِحْرابَ وَجدَ عِندَها رزْقاً قال أنّى لَكِ هذا قالت هُوَ مِن عندِ اللَّه إنّ اللَّه يرزقُ مَن يَشاء بغير حسابْ» عن جابر بن عبداللَّه الأنصارى أنّه قال: أقام رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أيّاماً لم يطعم طعاماً حتى شقَّ ذلك عليه فطاف فى منازل أزواجه فلم يجد عند واحدةٍ منهنَّ شيئاً فأتى فاطمة عليها السلام فقال يا بُنية هل عندك شىء آكله فإنى جائع فقالت لا و اللَّه فلما خرج من عندها بعثت إليها جارةٌ لها برغيفين و قطعة فأخذته منها فوضعته فى جفنة لها الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۶۵ و قالت و اللَّه لأؤثرن بهذا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على نفسى و من عندى و كانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة طعام فبعثت حسناً إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فرجع إليها فقالت له بأبى أنت و أمى قد أتى اللَّه بشىءٍ قد خبأته لك فقال هلمى يا بنية بالجفنة فكشفت عن الجفنة فإذا هى مملؤة خبزاً و لحماً فلما نظرت إليها بهتت و عرفت أنها بركة من اللَّه فحمدت اللَّه تعالى و قدمته إلى النبى صلى الله عليه و آله فلما رآه حمد اللَّه و قال من أين لك هذا يا بنية قالت ياأبت هو من عند اللَّه إنّ اللَّه يرزق من يشاء بغير حسابٍ فحمد اللَّه ثم قال الحمد للَّهالذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها اللَّه رزقاً فسئلت عنه قالت هو من عند اللَّه إنّ اللَّه يرزق من يشاء بغير حساب. ثم جمع رسول اللَّه صلى الله عليه و آله على بن أبى طالب عليه السلام و الحسن و الحسين عليه السلام و جميع أهل بيته فأكلوا منه حتى شبعوا و بقى الطعام كما هو، فأوسعت فاطمة عليها السلام على جيرآنها «۱» الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۶۶

أول من يرد الجنة

إنّ سعادة المرء الواقعية تكمن فى دخوله الجنة، حيث الرحمة الالهية الواسعة، و أفضل الناس من سبق إليها. و قد ثبت من خلال روايات أهل السنّة المعروفة أنّ الرسول صلى الله عليه و آله نسب هذه المتقية إلى فاطمة الزهراء عليها السلام و لعدة مرّات. * ۳۱- جاء فى «ميزان الاعتدال» للذهبى نقلًا عن الرسول الكريم صلى الله عليه و آله: «أوّل شخصٍ يدخل الجنة فاطمة عليها السلام. «۱» * ۳۲- و نقل عنه صلى الله عليه و آله فى حديثٍ آخرٍ أنّه قال: «أوّل شخصٍ يدخل الجنة فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه و آله و مثلها فى هذه الأمة مثل مريم فى بنى إسرائيل». «۲» و بغض النظر عما سبق نستدل من الروايات الإسلامية المعروفية على أن ورودها إلى ساحة المحشر، و منها إلى الجنة سيكون مصحوباً بمراسم و تشريفاتٍ غاية فى العظمة مما يدل على سمو منزلتها و عظم مقامها. * ۳۳- نقل علىّ بن أبى طالب عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنه قال: «تحشر ابنتى فاطمة يوم القيامة و عليها حلة الكرامة قد عجنت بماء الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۶۷ الحيوان، فتنظر إليها الخلائق فيتعجبون منها». و يضيف صلى الله عليه و آله فى آخر الحديث: «فتزف إلى الجنة كالعروس لها سبعون ألف جاريةٍ» «۱» * ۳۴- و تروى عائشة حديثاً آخر عن الرسول الكريم صلى الله عليه و آله: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ يا معشر الخلائق طأطؤا رؤسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمّد». «۲» * ۳۵- و نقرأ فى حديثٍ آخر يشير إلى نفس المعنى «فتمرمع سبعين ألف جاريةٍ من الحورالعين كمّر البراق». «۳» * ۳۶- و الأعجب من ذلك ما نقله كتاب «تأريخ بغداد» عن الرسول الكريم صلى الله عليه و آله أنه قال: عند ما عرج بى إلى السماء فى تلك الليلة رأيت باب الجنة و قد كتب عليها: «لا إله إللَّه، محمّد رسول اللَّه، على حبيب اللَّه، و الحسن و الحسين صفوة اللَّه و فاطمة خيرة اللَّه، على باغضهم لعنة اللَّه». «۴» الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۶۸

معانی أسماء فاطمة علیها السلام

تکشف الأسماء عادةً عن ماهیة المسمی خصوصاً إذا کان واضح الاسم حکیماً، و نستشف من مجموع الأحادیث أن تسمیة هذه السیدة الجلیلة کانت بواسطة حکیم الحکماء المطلق ألا و هو ربُّ العالمین «جلّ و علا». و من ناحیةٍ أخری فإن فاطمة علی وزن «فطم» (علی وزن فعل) و هو بمعنی انقطاع الطفل عن الرضاعة، ثم أطلق علی کلِّ ما یحمل معنی الانفصال. و الآن لنتعرف علی ما جاء فی الروایات الاسلامیة؟ * ۳۷- رُوی عن الرسول صلی الله علیه و آله أنه قال: «إنما سماها فاطمة لأنَّ اللَّه فطمها و محبیها من النار». «۱» یستفاد من هذا التعبیر أن تسیمة هذه السیدة الجلیة بهذا الاسم إنما کان من قبل اللَّه سبحانه و تعالی و معناه أنه وعد فاطمة علیها السلام و محبیها و المنتهجین نهجها أن لا تمسهم النار. * ۳۸- نقرأ فی «ذخائر العقبی عن علی علیه السلام أن الرسول صلی الله علیه و آله قال لفاطمة علیها السلام یا فاطمة أتدرین لم سُمِّیت فاطمة؟ الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۶۹ فقال علی علیه السلام: لم سُمِّیت فاطمة یا رسول اللَّه؟ فقال رسول اللَّه: «إنّ اللَّه عزّ و جل قد فطمها و ذریتها عن النار یوم القیامة». «۱» من البدیهی أن القصد من «ذریة» هم الذین یسیرون علی نهج هذه الأم العظیمة، و لیس کمثل ابن نوح حیث جاء الخطاب: «إنه لیس من أهلک إنه عمل غیر صالح». و لهذا نری أن بعض الأحادیث قد جمعت بین کلمتی «ذریة» و «محبی» فی آنٍ واحد، و من کان یظن منا أن معنی الروایات الأخیرة هو نجاة العاصی منهم و حتی الکافر المشرک من العذاب الالهی لمحبته لفاطمة الزهراء علیها السلام، فهو علی خطأ لأن ذلک لا یتفق مع أیٍّ من المعاییر الاسلامیة، إضافةً إلی أن الرسول صلی الله علیه و آله و هو أصل هذه الشجرة الطیبة قد خوطب فی القرآن المجید بهذه الصورة فی الایة الشریفة: ی لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ وَلَتَکُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِینَ ی «۲» و صرحت آیة أخری ی وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِیلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْیَمِینِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِینَ فَمَا مِنکُم مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِینَ «۳» ی فهل یمکن للفرع أن یعلو علی الأصل؟ و هل أنَّ أبناء رسول اللَّه أفضل منه؟! ممّا لا شک فیه أن الرسول صلی الله علیه و آله لم یطرأ علی تفکیره الشرک باللَّه أبداً، الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۷۰ و لم (و العیاذ باللَّه) یکذب علی اللَّه، لکن هذه الآیات تضمر فی محتواها درساً کبیراً للأمة الإسلامیة، حتی یعلم الجمیع أن نجاة المرء مقرونة بإخلاصه للَّه. و هذا لا یتنافی مع المقام السامی و الدرجة الرفیعة لأئمة الأمة الإسلامیة و ساداتها. من المتعارف عند العرب أن یُکنّی الرجل ب «أب» و تُکنّی المرأة ب «أم»، هذا بالإضافة إلی أسمائهم. و من بین الکنی التی کُنیت بها فاطمة الزهراء علیها السلام تبرزکنیةً عجیبةً تدل علی عظمة الزهراء علیها السلام، کما فی الروایة التالیة: ۳۹- ورد فی کتاب «أسد الغابة»: «کانت فاطمة تُکنّی أم أبیها». «۱» و ورد نفس المعنی فی کتاب «الاستیعاب» نقلًا عن الإمام الصادق علیه السلام: «۲» «لم یُرَ لهذا التعبیر العجیب نظیراً فی أیٍّ من نساء الإسلام، و هو یدل علی أنَّ هذه البنت الوفیة کانت تقوم بدور الأم فی رعایتها لأبیها و السهر علیه.» نعلم أنّ الرسول الکریم صلی الله علیه و آله فقد أمه و هو فی مرحلة الطفولة، لکن ابنته هذه لم تُقصر فی محبتها و حنانها و قلقها علیه رغم صغر سنها. فهی بنت مضحیة و فدائیة من ناحیة، و هی أم مؤثرة حنونة من ناحیةٍ أخری و مواسیة و فیة من ناحیةٍ ثالثة، و قد شهدت بذلک الروایات التی ذکرناها. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۷۱

هدیة الرسول صلی الله علیه و آله لفاطمة علیها السلام

اشارة

سجلت صفحات التأریخ بعضاً من الهدایا المعنویة التی منحها الرسول الکریم صلی الله علیه و آله لابنته فاطمه علیها السلام و التی فاقت کل واحدةٍ منها الأخری لا سیما تسبیحة الزهراء، هذا بالإضافة إلی هدیةٍ ماديةٍ معنویة منحها صلی الله علیه و آله لفاطمة علیها السلام بأمرٍ إلهی، کما نصّ علی ذلک متن الروایة التالیة: ۴۰- جاء فی الدر المنثور «للسیوطی» عن البزاز و أبی یعلی و ابن حاتم و ابن

مردویه عن سعید الخدری أنه قال: «لما نزلت الآیة «وآت ذا القربی حقه «۱»» دعا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فاطمة الزهراء علیها السلام و أعطاها فدکاً». «۲» و بالطبع (کما سیأتی شرحه فی فصل- أحداث فدک المؤلمة-) فإن منح فدک لفاطمة علیها السلام لم تکن مسألةً أو هدیةً عادیة، بل کانت سنداً و دعامةً لو لایة علی بن أبی طالب علیه السلام و عاملًا فی تقویة و تثبیت مقام هذه العائلة الکریمة، و من هذا المنطلق فهی تعدُّ هدیةً معنویة. و لکنَّ النظام الذی أدرک معنی هذه الهدیة جیداً، سارع بعد رحیل الرسول صلی الله علیه و آله إلی انتزاعها من فاطمة الزهراء علیها السلام و ضمها إلی بیت المال مستنداً فی ذلک إلی حدیثٍ موضوع و حجةٍ باطلة. و هذه قصة طویلةٍ الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۷۴ مملوءةٍ بالعبر و الاحداث المؤلمة و الظالمة، و التی یمکن اعتبارها سنداً إسلامیاً مهماً فی تحلیل تأریخ صدر الاسلام و الحوادث التی أعقبت رحیل النبی صلی الله علیه و آله. و نوکل الحدیث إلی محله. «إلهی»! أحینا ما أحییتنا علی محبة و موالاة هذه السیدة و أبیها و بعلها و بنیها- صلوات اللَّه علیهم- و احشرنا فی زمرتهم. «یا رب» وفقنا فی اتباع نهجهم، و الاهتداء بنور هدایتهم، و الاقتداء بسنتهم. «و اجعلنا ممن یأخذ بحجزتهم، و یمکث فی ظلهم، و یهتدی بهداهم». «آمین یا رب العالمین» الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۷۵

أحداث فدک المؤلمة

اشارة

تعد قصة «فدک» من أغمِّ القصص التی مرت بحیاة فاطمة الزهراء علیها السلام خصوصاً، و أهل البیت عموماً، و تأریخ الإسلام بشکلٍ أوسع و أعم، و التی حیکت أحداثها مع المؤامرات السیاسیة الوضعیة، کما أنها منفذ لحل بعضٍ من ألغاز تأریخ صدر الإسلام. فدک؛ ماذا کانت و أین کانت؟ ذکر کثیر من المؤرخین و أرباب اللغة بأن «فدک» قریة بالحجاز- قریبة من خیبر- بینها و بین المدینة یومان، و قیل ثلاثة، (و کتب البعض أنها تبعد عن المدینة بمسافةٍ مقدارها ۱۴۰ کیلومتر) أفاءها اللَّه علی رسوله صلی الله علیه و آله، و فیها عین فوارة و نخل کثیر، «۱» و تعد مرکزاً مهماً للیهود فی أرض الحجاز بعد خیبر. و فی کیفیة انتقال هذه الأرض الخضراء المعمورة لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله، فالمعروف هو أن الانتصار الذی حققه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی فتح حصون خیبر أرعب أهل فدک المتعصبین، فأرسلوا إلی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أن یصالحهم علی نصف «فدک»، فقبل الرسول صلی الله علیه و آله ذلک منهم و أمضی ذلک الصلح، و الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۷۶ بهذا فهی ممالم یوجف علیه بخیلٍ و لا رکاب. و بما أن القرآن ینص علی ی وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَی رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَیْهِ مِنْ خَیْلٍ وَلَا رِکَابٍ وَلَکِنَّ اللَّهَ یُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَی مَن یَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَی کُلِّ شَیءٍ قَدِیرٌ «۱» «مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَی رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَی فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِی الْقُرْبَی وَالْیَتَامَی وَالْمَسَاکِینِ وَابْنِ السَّبِیلِ کَیْ لَا یَکُونَ دُولَةً بَیْنَ الْأَغْنِیَاءِ مِنکُمْ وَمَا آتَاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاکُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعِقَابِی «۲» لذا فهی خالصةً لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله، یصرف ما یأتیه منها فی «أبناء السبیل» و أمثال ذلک. نقل هذا الحدیث کل من یاقوت الحموی فی «معجم البلدان» و ابن منظور الأندلسی» فی «لسان العرب» و آخرون کثیرون. و أشار إلی ذلک أیضاً «الطبری» فی تأریخه و «ابن الأثیر» فی کتاب «الکامل». «۳» کما کتب الکثیر من المؤرخین أن الرسول صلی الله علیه و آله قد منح ابنته الزهراء علیها السلام فدکاً فی حیاته. «۴» الدلیل البین الذی یثبت هذه الحقیقة هو ما نقله المفسرون الکبار، منهم مفسر أهل السنة المعروف «جلال الدین السیوطی» فی کتاب «الدر المنثور»، حیث نقل فی ذیل الآیة السادسة عشرة من سورة الإسراء حدیثاً عن «أبی سعید الخدری» یقول فیه: «لما نزل قوله تعالیَ- و آتِ ذا القربی حقه أعطی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فاطمة فدکاً». «۵» الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۷۷ الدلیل الحی الآخر الذی یعتبر سنداً مهماً فی هذا الأمر- أو لهذا الادعاء- هو قول أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السلام فی نهج البلاغه: «بلی کانت فی أیدینا فدک من کل ما أظلته السماء، فشحت علیها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قومٍ آخرین، و نعم

الحکم اللّه». «۱» یشیر هذا الحدیث بوضوحٍ إلی أن فدکاً کانت بید علیٍّ و فاطمة علیها السلام فی حیاة الرسول صلی الله علیه و آله، لکن بعض الحکام البخلاء تعلقوا بها، فتخلی علیّ و زوجته علیها السلام عنها مجبرین. و من البدیهی أنهم لم یکونوا موافقین لما حدث، و إلا فما معنی سؤال و طلب الأمیر علیه السلام من اللّه سبحانه و تعالی فی أن یحکم بینه و بینهم. نقل الکثیر من علماء الشیعة أیضاً فی کتبهم المعتبرة روایات تتعلق بهذه المسألة منهم: المرحوم الکلینی «الکافی» و المرحوم «الصدوق» و المرحوم «محمّد ابن مسعود العیاشی» فی تفسیره، و «علی ابن عیسی الأربلی» فی «کشف الغمة»، و آخرون فی کتب الحدیث و التأریخ و التفسیر، لا یسع المقام لذکر هم. الآن ... لنری لماذا و بأیِّ دلیل انتزعت الزهراء علیها السلام فدکها؟.

۱- العوامل السیاسیة فی غصب فدک

لم تکن مسألة انتزاع «فدک» من الزهراء علیها السلام مسألة عادیة لا تحمل إلّا الجانب المادی فحسب، بل إن جانبها الاقتصادی قد انصبَّ فی قالب المسائل السیاسیة التی حکمت المجتمع الإسلامی بعد وفاة النبی صلی الله علیه و آله، و فی الحقیقة لا یمکن فصل مسألة «فدک» عن سائر أحداث ذلک العصر، و إنما هی حلقة من سلسلةٍ کبیرة، و ظاهرةٍ من وقائعٍ شاملةٍ و واسعة! إنَّ لهذا الغصب التأریخی الکبیر عواملًا نوردها فی النقاط التالیة: ۱- یعتبر وجود «فدک» فی حیازة آل بیت النبوة علیه السلام میزةً کبیرة لهم، و هذا بحد ذاته دلیل علی علوِّ مقامهم عند اللّه و قربهم الشدید من الرسول صلی الله علیه و آله، خصوصاً ما نقلته کتب الشیعة و السنّة فی الروایات التی ذکرناها آنفاً من أن الرسول صلی الله علیه و آله استدعی فاطمة علیها السلام بعد نزول الآیة «و آتِ ذا القربی و أعطاها فدکاً. من الواضح أن وجود «فدک» فی حیازة آل بیت محمّد صلی الله علیه و آله منذ البدایة یکون مدعاةً لالتفاف الناس حولهم و البحث عن سائر آثار النبیِّ الکریم صلی الله علیه و آله فی هذه العائلة خصوصاً مسألة الخلافة، و هذا الأمر لم یکن لیتحمله مؤیدو إنتقال الخلافة إلی الآخرین. ۲- کانت هذه المسألة مهمة فی بعدها الاقتصادی، کما هو أثرها الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۷۹ الفعال فی بعدها السیاسی، لأن وقوع أمیر المؤمنین علیه السلام و آله فی مضیقةٍ اقتصادیة یؤدی إلی تدهور وضعهم السیاسی بنفس النسبة. بعبارةٍ أخری فإنَّ حیازتهم علی فدک یوفر لهم امتیازات تکون بمثابة المتکأ الذی تستند علیه مسألة الولایة کما فعلت أموال خدیجة علیها السلام فی انتشار الإسلام فی بدء دعوة نبی الإسلام صلی الله علیه و آله. من المتعارف علیه فی جمیع أنجاء العالم أنه إذا أرید طمس شخصیةٍ کبیرة، أو تقیید دولةٍ ما لتعیش حالة الانزواء فإنه یُعمل علی محاصرتها اقتصادیاً، و قد نصَّ تأریخ الإسلام فی قصة «شعب أبی طالب» عندما حوصر المسلمون من قبل المشرکین حصاراً اقتصادیاً شدیداً. فی تفسیر سورة المنافقین، و فی ذیل الآیة ی لَئِنْ رَجَعْنا إلی الَمدینةِ لَیُخرجَنَّ الأَعَزُّ مِنْها الأَذَلَی «۱» أُشیر إلی مؤامرةٍ شبیهةٍ بهذه المؤامرة قد حاکها المنافقون، لکنَّ اللطف الإلهی أخمد نارها و هی فی المهد، لذا فلیس من العجب فی شیءٍ أن یسعی المخالفون إلی انتزاع هذه الثروة من آل بیت النبی الکریم صلی الله علیه و آله، و إخلاء أیدیهم و دفعهم بعیداً عن الساحة. ۳- و إن هم و افقوا علی أن فدک میراث النبی صلی الله علیه و آله أو هدیته لا بنته فاطمة الزهراء علیها السلام و بالتالی تسلیمها إلیها فإن ذلک سیفتح الطریق لها فی المطالبة بمسألة الخلافة. هذه النقطة یطرحها العالم السنی المشهور «ابن أبی الحدید المعتزلی» فی شرح «نهج البلاغة» بصورةٍ ظریفةٍ حیث یقول: «سألت علی بن الفارقی مدرس المدرسة الغربیة ببغداد، فقلت له: أکانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم یدفع إلیها أبوبکر فدک و هی عنده صادقة؟ الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۸۰ فتبسم، ثم قال کلاماً لطیفاً مستحسناً مع ناموسه و حرمته وقلّة دعابته، قال: لو أعطاها الیوم فدک بمجرد دعواها لجاءت إلیه غداً و ادعت لزوجها الخلافة، و زحزحته عن مقامه، و لم یکن یمکنه الاعتذار و المدافعة بشیء، لأنه یکون قد سجل علی نفسه أنها صادقة فیما تدعیه کائناً ما کان من غیر حاجةٍ إلی بیِّنةٍ و لا شهود» و بعدها یضیف «ابن أبی الحدید» قائلًا: «و هذا کلام صحیح، و إن کان أخرجه مخرج الدعابة و الهزل». «۱» إنَّ هذا الاعتراف الصریح الذی أدلی به اثنان من علماء أهل السنة، لشاهد حیّ علی أنّ لقصة فدک جانباً سیاسیاً هاماً. ولکی یتضح هذا المعنی سنقف فی البحث التالی علی

مصیر هذه القریة عبر تأریخ الإسلام منذ قرونه الأولی و کیف أنها انتقلت من یدٍ إلی أخری و کیف تباینت آراء الخلفاء بخصوصها.

۲- فدک عبر العصور

کیف عادت فدک لأهل البیت علیهم السلام یعد مسیر فدک التأریخ من عجائب التأریخ الإسلامی فقد کان لکل من الخلفاء عبر العصور موقفاً خاصاً منها، فمنهم من قبضها و منهم من ردّها إلی أصحابها، و طال الأمد بها علی هذا الحال إلی أن صبخت الأرض و ضاع منها نعیمها. و للتعرف علی فصول النزاع الذی مرت به هذه القریة العامرة یکفینا الوقوف علی النقاط التالیة: ۱- إنتقلت «فدک» کما نعلم إلی الرسول صلی الله علیه و آله بعد سقوط خیبر لأنه قبل الصلح مع الیهود. و طبقاً لآیة الشریفة «وَ مَا أَفَاءَ اللَّه عَلَی رَسُولِه ...» فقد صارت کلها ملکاً شخصیاً مختصاً برسول اللَّه صلی الله علیه و آله. ۲- طبقاً للوثائق التأریخیة المعتبرة فإنّ الرسول صلی الله علیه و آله منح و بأمرٍ إلهی فدکاً إلی فاطمة الزهراء علیها السلام فی حیاته، و ذلک عند ما نزلت الایة الشریفة «و آتِ ذا القربی حقه». بهذه الصورة أصبحت فی حیازة ابنة الرسول الکریم صلی الله علیه و آله. ۳- اغتصبت هذه المعمورة فی زمن الخلیفة الأول، و ضُمَّت إلی أموال الدولة، و قد سعی هؤلاء الی الحفاظ علی هذا الوضع. ۴- ظل الوضع علی هذا الحال إلی أن آلت الخلافة إلی الخلیفة الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۸۲ الأموی «عمر بن عبد العزیز» الذی کان أقرب لأهل البیت علیه السلام من غیره، حیث نقرأ فی شرح نهج البلاغة: «لما وُلی عمر بن عبد العزیز ردَّ فدک علی ولد فاطمة، و کتب إلی و الیه علی المدینة أبی بکر عمرو بن حزم یأمره بذلک، فکتب إلیه: إن فاطمة قد ولدت فی آل عثمان، و آل فلان و آل فلان، فعلی من أردُّ منهم؟ فکتب إلیه: «أما بعد: فإنی لو کتبت إلیک آمرک أن تذبح شاةً لکتبت إلیَّ: أجماء أم قرناء؟ أو کتبت إلیک أن تذبح بقرةً لسألتنی: ما لونها؟ فإذا ورد علیک کتابی هذا فاقسمها فی ولد فاطمة من علیٍّ علیه السلام والسلام». «۱» بهذا الشکل صارت «فدک» بید أبناء فاطمة علیها السلام بعد أن دارت دورةً کبیرة تنقلت فیها بین هذا و ذاک. ۵- لم یمض وقت طویل حتی غصبها الخلیفة الأموی «یزید بن عبد الملک» ثانیةً. ۶- بعد أن ولی الأمویون و استخلفهم العباسیون، أعاد الخلیفة العباسی المعروف «أبو العباس السفاح» فدکاً إلی «عبداللَّه بن الحسن بن علی علیه السلام باعتباره ممثل بنی فاطمة علیها السلام. ۷- بعدها مباشرة قام «أبو جعفر العباسی» بانتزاعها من «بنی الحسن» (أنهم ثاروا علی بنی العباس» ۸- أعاد الخلیفة «المهدی العباسی» ابن «أبو جعفر» فدکاً إلی أبناء فاطمة علیها السلام. ۹- قام الخلیفة العباسی «موسی الهادی» بغصبها ثانیةً، و ظل الوضع علی هذا الحال فی زمن هارون الرشید. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۸۳ ۱۰- ولکی یُظهر علاقته الشدیدة بأهل بیت الرسول صلی الله علیه و آله و أبناء علیٍّ و فاطمة علیها السلام، قام المأمون برد فدک إلی وُلد فاطمة علیها السلام. لقد ورد فی التأریخ أن المأمون کتب إلی و الیه علی المدینة «قثم بن جعفر» قائلًا: «إنّه کان رسول اللَّه أعطی ابنته فاطمة فدکاً و تصدیق علیها بها، و إنَّ ذلک کان أمراً ظاهراً معروفاً عند آله علیهم السلام ثم لم تزل فاطمة تدعی منه بما هی أولی من صدق علیه، و إنه قد رأی ردها إلی ورثتها و تسلیمها إلی «محمّد بن یحیی بن الحسین بن زید بن علیّ» ... و «محمّد بن عبداللَّه بن الحسین» ... لیقوما بها لأهلهما». یقول ابن أبی الحدید: «جلس المأمون للمظالم، فأول رقعةٍ وقعت فی یده نظر فیها و بکی و قال للذی علی رأسه: ناد أین وکیل فاطمة؟ فقام شیخ علیه دراعة و عمامة و خفّ تعزی، فتقدم فجعل یناظره فی فدک و المأمون یحتجُّ علیه و المأمور یحتج علی المأمون، ثمَّ أمر أن یسجل لهم بها، فکتب السجل و قرئ علیه، فأنفذه، فقام دعبل إلی المأمون فأنشده الأبیات التی أوّلها: أصْبَحَ وَجْهُ الزّمانِ قدْ ضَحِکَا بِرَدِّ مَأمُونَ هاشِماً فَدَکاً «۱» و قد ذکر مؤلف کتاب «فدک» أن المأمون اعتمد علی روایة أبی سعیدٍ الخدری بإعطاء النبیّ صلی الله علیه و آله، فدکاً لفاطمة فقأم برد فدک علی أبنائها. «۲» ۱۱- أما «المتوکل العباسی» و بسبب الحقد الذی کان یضمره لأهل بیت النبوة علیه السلام، قام بغصب فدک من أبناء فاطمة علیها السلام مجدداً. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۸۴ ۱۲- أصدر ابن المتوکل و هو «المنتصر» أمراً برد فدک إلی الحسن و الحسین علیه السلام ثانیةً. مما لا شک فیه أن تنقل الأرض من یدٍ لأخری و التلاعب بأمرها فی کل یومٍ من قبل السیاسیین الحاقدین سیسبب هلاکها و

خرابها بسرعة، و هو عین ما حدث لفدک، فسرعان ما خربت عمارتها و تیبست أشجارها و جفت ثمارها! علی کل حال فإن هذه الانتقالات التی حصلت إنّما تدل علی حقیقةٍ محسوسةٍ ملموسة، ألا و هی أنَّ الخلفاء کانوا شدیدی الحساسیة تجاه فدک، فتصرف و موقف کلّ منهم إنما هو نابع مما تقتضیه مصلحته السیاسیة. و کل ذلک تأکید علی ما ذکرناه من أن لغصب فدک بعداً سیاسیاً أهم من بعده الاقتصادی، فمصلحتهم کانت تقتضی منهم أن یعملوا علی إبعاد أهل بیت الرسالة علیه السلام عن المجتمع الإسلامی، و التقلیل من شأنهم و مکانتهم، و إظهار العداء لهم تارةً، و التقرب و التودد إلیهم تارة أخری عن طریق ردِّ فدک إلیهم و الذی تکرر لعدة مراتٍ عبر التأریخ. إنّ أهمیة فدک فی أذهان عامة المسلمین محدودة، فما یذکره التأریخ هو أنّها لم تزل فی أیدیهم حتی کان فی أیام المتوکل، و کان فیها إحدی عشرة نخلة غرسها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بیده، فکان بنو فاطمة یأخذون ثمرها، فإذا قدم الحجّاج أهدوا لهم من ذلک التمر فیصلونهم، فیصیر إلیهم من ذلک مال جزیل جلیل. «۱»

۳- فدک و أئمة الهدی علیهم السلام

من المسائل الملفتة للنظر هی عدم تدخل أیّ من الأئمة «بعد الغصب الأول» فی أمر فدک، ابتداءً من أمیر المؤمنین علیه السلام و مروراً بالأئمة من ولده بل إنّ بعض الخلفاء من أمثال «عمر بن عبدالعزیز» و «المأمون» اقترحوا ردّها علی واحدٍ من أئمة أهل البیت علیه السلام، و کان ذلک مدعاةً للحیرة و التساؤل عن سبب موقفهم هذا من فدک؟ لِمَ لم یرجع علیٌّ الحق إلی أهله عند ما کانت الدولة الإسلامیة تحت سیطرته، أو لماذا (علی سبیل المثال) لم یعطِ المأمون فدکاً إلی علیِّ بن موسی الرضا علیه السلام خصوصاً و أنّه کان یظهر للإمام حبه العمیق؟ و لماذا أعطاها لبعضٍ من حفدة زید بن علی بن الحسین علیه السلام باعتباره ممثلًا عن «بنی هاشم»؟ ونقول فی الإجابة علی هذا السؤال التأریخی المهم: أما بالنسبة لأمیر المؤمنین علیه السلام فإنّه أفصح عن رأیه فی أمرها فی قوله المختصر الغزیر المعنی و الذی قال فیه: «بلی کانت فی أیدینا فدک من کلِّ ما أظلته السماء، فشحت علیها نفوس قوم، و سخت عنها نفوس قوم آخرین، و نعم الحکم اللَّه. و ما أصنع بفدکٍ الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۸۶ و غیر فدک، و النفس مظانّها فی غدٍ جدث تنقطع فی ظلمته آثارها ...» «۱» بین أمیرالمؤمنین علیه السلام بصورةٍ عملیة أن مطالبته بفدکٍ لم تکن لکونها منبعاً مصدراً اقتصادیاً یسترزق منه، و أن هو و زوجته طالبا بها یوماً فلأنّها سبیل إلی تثبیت مسألة الولایة، و منع خطوط الانحراف من السیطرة علی منصب خلافة الرسول صلی الله علیه و آله. الآن و بعد أن مضی ما مضی و بعد أن بقی لفدک جانبها المادیّ فقط، فما فائدة استردادها؟ و للعالم و المحقق الکبیر السید المرتضی کلام قیم بهذا الشأن حیث یقول: «لما آلت الخلافة إلی علیِّ بن أبی طالب کُلِّم فی رد فدک فقال: إنّی لأستحی أن أرُدَّ شیئاً منع منه أبوبکر و أمضاه عمر». «۲» إن هذا القول الحکیم یشیر فی الحقیقة إلی شهامة و عدم اعتناء الأمیر علیه السلام بفدک کونها ثروة مادیة و مصدر رزق من ناحیة، و من ناحیة أخری فهو یعرف غاصبی الحق الأوائل. أما لماذا لم یسلم الخلفاء الذین أظهروا و دهم لآل بیت النبوة صلی الله علیه و آله فدک إلی الأئمة، و دفعوها إلی أحد أحفاد زید بن علی مثلًا أو أشخاصاً غیر معروفین باعتبارهم ممثلین لبنی فاطمة علیها السلام؟ فانه یمکن أن یکون لهذا الأمر سببان: ۱- لم یکن أئمة الهدی علیه السلام لیتقبلوا فدکاً، فحینها کان لذلک العمل الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۸۷ بعداً مادیاً یطغی علی بعده المعنوی، و ربما کان یحمل علی أنه تعلق بثروةٍ دنیویة لا معنویة. بتعبیرٍ آخر فإن تسلم الأئمة علیه السلام لها فی تلک الظروف یقلل من شأنهم، إضافة إلی أن ذلک سیمنعهم من القیام علی خلفاء الجور، فکلما أرادوا مجاهدة الحکام انتزعت منهم فدک. (و هذا نفس ما رواه التأریخ من أن الخلیفة العباسی «أبو جعفر» انتزع فدک من «بنی الحسن» عندما ثار بعضهم علیه). ۲- من ناحیةٍ أخری کان الخلفاء یفضلون عدم تطور إمکانات الائمة علیه السلام المادیة، فکما هو معروف فی قصة «هارون الرشید» عند مجیئه للمدینة و احترامه الشدید للإمام «موسی بن جعفر» علیه السلام بشکلٍ أذهل ذلک ابنه المأمون. ولکن عند ما حان وقت الهدایا، أرسل الرشید هدیة متواضعةً للإمام علیه السلام، فتعجب المأمون من ذلک، و عندما سأل أباه عن السبب، قال الرشید: «أسکت لا أمّ لک! فإنی لو

أعطیته هذا ما ضمنته له، ما کنت آمنه أن یضرب وجهی غداً بمأة ألف سیفٍ من شیعته و موالیه، و فقر هذا و أهل بیته أسلم لی و لکم من بسط أیدیهم و إغنائهم.» «۱»

۴- محکمة تأریخیة

کما مر ذکر سابقاً نقل الرسول صلی الله علیه و آله ملکیة فدکٍ إلی فاطمة الزهراء علیها السلام بعد أن نزلت الایة الشریفة و آتِ ذا القربی حقّه». و لم ینفرد مفسرو الشیعة فی نقل هذه الروایة عن الصحابی المعروف «أبو سعید الخدری» بل و اتفق معهم علماء الجمهور أیضاً و قد أوردنا إسناد هذه الروایة آنفا. وضعت الحکومة التی استولت علی الخلافة بعد الرسول صلی الله علیه و آله یدها علی فدک، و أخرجت أبناء فاطمة علیها السلام منها نقل هذا الأمر کل من العالم السنی المعروف «ابن حجر» فی کتاب «الصواعق المحرقة» و «السمهودی» فی «وفاء الوفاء» و «ابن أبی الحدید» فی «شرح نهج البلاغة». قامت سیدة الاسلام علیها السلام بالمطالبة بحقها عن طریقین: الأول هو کون فدک هدیة الرسول صلی الله علیه و آله لها، و الثانی هو أنها میراثها من أبیها صلی الله علیه و آله (بعد أن رُدّت دعوی الهدیة). استشهدت سیدة النساء فی المرحلة الأولی بأمیر المؤمنین «علی بن أبی طالب» علیه السلام. و «أم أیمن (رض)» عند الخلیفة الأول، لکن الخلیفة لم یقبل شهادتهما و لم یقر حقها بحجّة أن الدعوی لا تثبت إلا بشهادة رجلین أو رجلًا و امرأتین. ثم رفض مسألة «الإرث» مدعیاً أن الرسول صلی الله علیه و آله قال: الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۸۹ «إنا معاشر الأنبیاء لانُورث ما ترکناه صدقة». لکن و من خلال تحقیقٍ شاملٍ یتضح أن النظام الحاکم الغاصب قد ارتکب فی عمله هذا عشرة أخطاء فاحشة، سنقوم بعرضٍ مختصرٍ لها و نتوکل الخوص فی التفاصیل إلی محل آخر: ۱- کانت فاطمة علیها السلام تملک فدک، أی أنها کانت «ذو الید»، و فی رأی القوانین الإسلامیة و جمیع القوانین المعروفة فی الوسط العقلائی العالمی فإن «ذو الید» لایحتاج إلی استشهاد أو تصدیقٍ علی ما یملکه إلا إذا أظهرت شواهد علی بطلان ملکیته. فمثلًا إذا ادّعی شخص ملکیة دارٍ یسکن فیها، فلا یمکن إخراجها من یده ما لم یظهر دلیل یُنافی إدعائه، کما لا حاجة فی أن یشهد أحداً علی دیمومة ملکیته، بل إن هذا التصرف (إن أراد إنجازه بنفسه أو یوکله لممثلیه) لأفضل دلیلٍ علی صحة مالکیته. ۲- إن شهادة فاطمة الزهرا علیها السلام لوحدها کانت کافیة فی هذه المسألة، لأنها معصومة بحکم الآیة الشریفة: ی إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراًی «۱» ، و حدیث الکساء المشهور الذی نقلته کتب العامة المعتبرة و کتب الصحاح، فأبعد اللّه عز و جل القبح و الذنب عن النبی صلی الله علیه و آله و علیّ و فاطمة و الحسن و الحسین علیه السلام، و طهرهم من کلِّ معصیة. فکیف یمکن أن یشکّ أو یرتاب الآخرون بادعاء مثل هذا الشخص؟ ۳- إنّ شهادة الإمام علی علیه السلام لوحدها کانت کافیة أیضاً، فهو یتحلی بمنزلة العصمة أیضاً، و آیة التطهیر و الروایات التی دلّ علی هذا المعنی و الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۹۰ فیرة، منها الحدیث المشهور «الحق مع علیٍّ مع الحق، یدور معه حیثما دار» «۱» الذی یکفینا دلیلًا علی عصمته علیه السلام. إذا کیف یدور الحق حول محور وجود علیٍّ علیه السلام، لکن شهادته غیر مقبولة؟ ۲- تعد شهادة «أم أیم» هی الأخری کافیةً فی إثبات الحق، فکما ینقله ابن أبی الحدید: عندما جاءت فاطمة علیها السلام بأم أیمن للشهادة، قالت «أم أیمن» لأبی بکر: لا أشهد یا أبا بکر حتی أحتجّ علیک بما قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله، أنشدک باللّه ألست تعلم أن رسول اللّه صلی الله علیه و آله قال: «أم أیمن امرأة من أهل الجنة». فقال أبوبکر: بلی إذن فکیف تُردُّ شهادتها بعد أن علموا مقامها و هی من أهل الجنة. «۲» ۵- إضافة إلی کلِّ ما سبق، یکتفی الحاکم بتوفر القرائن المختلفة «لحسیةً کانت أم الشبیة بها» لیقوم بالفصل فی الدعوی فهل یا تری أن مسألة «ذو الید» من ناحیة، و شهادة الشهود الذین تکفی شهادة کلٍّ منهما فی إثبات و إحقاق الحق من ناحیةٍ أخری لا یوفران العلم و الیقین لدی الحاکم؟ ۶- لم یکن حدیث میراث الأنبیاء فی الواقع کما صاغه و فسره الغاصبون، و إنما کان بشکلٍ و معنی آخرین، فمصادر الحدیث تنقل الحدیث بالشکل الاتی «إن الأنبیاء لم یُورثوا دیناراً و لا درهماً ولکن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظٍّ وافرٍ». «۳» الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۹۱ و هنا نستدل

أن الحدیث یقصد الإرث المعنوی الذی یورثه الانبیاء، ولا علاقة له بالإرث المادی، و هذا هو مصداق الحدیث المروی عن الرسول صلی الله علیه و آله فی أن: «العلماء ورثة الأنبیاء». خاصة عبارة «ما ترکناه صدقة» فهی حتماً لم تکن موجودةً فی الحدیث مطلقاً، فهل یمکن أن یتحدث الرسول صلی الله علیه و آله بما یخالف صریح القرآن؟ إنّ القرآن الکریم یشهد فی مواضع متعددة علی توریث الأنبیاء أبناءهم، و تشیر آیاته الشریفة بوضوح إلی أن میراثهم لم یقتصر علی المیراث المعنوی فحسب، بل و شمل الجانب المادی أیضاً. و قد استدلت سیدتنا فاطمة الزهراء علیها السلام بهذه الایات المبارکة فی خطبتها المعروفة التی ألقتها فی المسجد النبوی الشریف بین جمع من المهاجرین و الأنصار، فلم ینکر علیها أحد منهم ما تقول، کل ذلک کان دلیلًا علی زیف الحدیث الذی ادّعاه الخلیفة. ۷۳- إن صحَّ هذا الحدیث، فکیف لم تعرف و لم تسمع به أی من نساء النبی صلی الله علیه و آله، حیث أرسلن إلی الخلیفة من یطالب بسهمهنَّ من میراث الرسول صلی الله علیه و آله. «۱» ۸- إن صح هذا الحدیث، فلماذا أصدر الخلیفة مباشرة حکماً أمر فیه برد فدک إلی فاطمة الزهراء علیها السلام، ذلک الحکم الذی سلبه الخلیفة الثانی منها و مزقه. «۲» ۹- إذا کان لهذا الحدیث واقعیة، و کان لازماً تقسیم فدک علی الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۹۲ المستحقین باعتبارها صدقة، فلم استدعی الخلیفة الثانی فی زمان خلافته علیّاً علیه السلام و العباس- بعد فوات الأوان- و أبدی استعداده فی تسلیمهما فدک کما جاء فی کتب تأریخ الاسلام المشهورة. «۱» ۱۰- ورد فی کتب «الشیعة» و «السنة» المعتبرة أن سیدة الإسلام فاطمة الزهراء علیها السلام غضبت علی الخلیفتین الأول و الثانی بعد أن منعاها حقها- فدک-، و قالت لهما «لن أکلمکما بعد الیوم» «۲» و کان الأمر کما قالت إلی أن وافاها الأجل. فی حین تنقل المصادر الإسلامیة المشهورة عن الرسول صلی الله علیه و آله حدیثه المشهور الذی قال فیه: «من أحب ابنتی فاطمة فقد أحبنی، و من أرضی فاطمة فقد أرضانی، و من أسخط فاطمة فقد أسخطنی». «۳» فهل من الممکن بعدها أن تمنع فاطمة علیها السلام حقاً تطالب به، و یتمسک بحدیثٍ یفتقد إلی الصحة و الصدق و الرجوع إلیه فی مقابل نص کتاب اللَّه الذی ینصُّ علی توریث الأنبیاء أبناءهم. علی کلِّ حال، لا یوجد أی مسوّغ فی مسألة غصب فدک، و لیس لذلک الفعل دلیل معقول. مالکیة الزهراء علیها السلام من ناحیة. الشهود العدول المعتبرون من ناحیة أخری شهادة القرآن المجید من ناحیةٍ ثالثة. و من ناحیةٍ رابعة نری الروایات الإسلامیة المختلفة کلها أدلة تصدق و الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۹۳ تشهد بأحقیة سیدة الإسلام فی فدک. إضافة إلی کلِّ ذلک فإنَّ آیات المواریث عموماً تنصّ علی أن لجمیع الناس الحق فی ترکة آباءهم و أمهاتهم و الأقربون. لذا لا یمکن التغاضی عن هذا الحکم الإسلامی مادام الدلیل لم یقم علی نفی تلک العمومات و هذا شاهد آخر.

۵- حدود فدک!

إنّ فدک- کما ذکرنا آنفاً- هی فی الظاهر قریة مخضرة مثمرة قریبة من خیبر، لم تخفَ حدودها علی أحد، لکن الغریب ماورد فی جواب الإمام موسی بن جعفر علیه السلام لهارون الرشید عند ما سأله الأخیر قائلًا: «حُدَّ فدکاً حتی أردها إلیک» حیث أبی الإمام علیه السلام لکن الرشید ألحَّ علیه. فقال علیه السلام: لا آخذها إلّابحدودها. قال هارون: و ما حدودها؟ قال علیه السلام: إن حدّدتها لم تردّها. قال هارون: بحق جدک إلا فعلت؟ قال علیه السلام: أما الحد الأول فعدَن، فتغیر وجه الرشید و قال: أیهاً، قال: و الحدّ الثانی سمرقند، فاربد وجهه، قال: و الحدّ الثالث أفریقیة فاسودَّ وجهه، و قال: هیه، قال: و الرابع سیف البحر مما یلی الجزر و أرمینیة. قال الرشید: فلم یبقَ لنا شیء، فتحول إلی مجلسی. قال الإمام علیه السلام: قد أعملمتک أننی إن حددتها لم تردها، فعند ذلک عزم علی قتله «۱»- الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۹۵ فهذا الحدیث دلالة واضحة علی إرتباط قضیة «فدک» «بالخلافة»، و یبین أن المهم فی الأمر کان غصب خلافة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله. و إذا أراد هارون أن یعید فدک فان علیه أن یتخلی عن الخلافة، و هذا ما جعله یلتفت إلی أن الامام موسی بن جعفر علیه السلام إذا شعر بالقوة سیزیله عن الخلافة، و لذلک عزم الرشید علی قتل الامام علیه السلام.

استنتاج

إن قصة «فدک» المؤلمة التی تحکی أحداث قریةٍ صغیرةٍ عانت الکثیر عبر تاریخ الإسلام، تشیر بوضوح إلی المؤامرة الکبیرة التی هدفت إلی إبعاد أهل بیت النبوّة علیه السلام عن منصب الخلافة الإسلامیة و تجاهل مقام إمامتهم و ولایتهم، مؤامرة شملت مختلف الأبعاد. لقد سعی السیاسیون منذ البدء خصوصاً فی عصر «بنی أمیة» و «بنی العباس» أن یسدلوا الستار علی أهل بیت النبوة علیه السلام، و یسلبوهم کل میزةٍ تؤدی إلی تفوقهم و انتصارهم، بل لم یتوانوا (عند لزوم الأمر) فی الاستفادة من عنوان و اسم أهل البیت علیه السلام فی تحقیق مآربهم، فی حین رفضوا ردَّ الحق إلی أصحابه! نعلم جیداً أن حجم الدولة الإسلامیة قد إتسع فی عصر «بنی أمیة» و «بنی العباس» کما زادت ثرواتها و کثرت ذخائر بیت المال بشکلٍ قلَّ مثیله فی تأریخ العالم إن لم ینعدم، و رغم أن فدک لم تکن لتشکل رقماً فی مقابل کلّ ذلک، إلا أن الدوافع الشیطانیة لم تسمح لهم برد الحق إلی أصحابه، بل والکف عن مواصلة التلاعب بهذه القضیة. و فی الحقیقة، تعتبر قصة فدک وثیقة تأریخیة إسلامیة تثبت مقام آل بیت النبی صلی الله علیه و آله الرفیع من ناحیة، و تشیر إلی ظلامتهم من ناحیةٍ أخری الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۹۷ وتکشف الغطاء عن المؤامرات التی حاکها الأعداء لهم من ناحیةٍ ثالثة. اللهمَّ اجعل محیانا محیا محمدٍ و مماتنا محمدٍ و آل محمدٍ- صلی اللَّه علیه و آله و سلم- واحشرنا فی زمرتهم و العن أعدائهم أجمعین.

الملحمة الکبیرة

الخطبة التأریخیة لسیدة الإسلام فاطمة الزهراء علیها السلام

ساد العالم الإسلامی بعد وفاة الرسولٌ هزّة عنیفة، وکان محور هذه العاصفة یدور حول منصب «الخلافة»، ثم انتقل الی کلِّ ما یرتبط بهذا المنصب، منها قرار مصادرة أرض «فدک» التی وهبها الرسول صلی الله علیه و آله لابنته فاطمة علیها السلام استناداً إلی مصالح مهمة، فقد صودرت من قبل النظام الحاکم. «۱» لاحظت فاطمة علیها السلام أن هذا التجاوز الواضح و ما رافقه من تجاهلٍ الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۰۲ للأحکام الإسلامیة فی هذا الامر سیجرف الأمة الإسلامیة إلی انحرافٍ کبیرٍ عن تعالیم الإسلام و سنة الرسول الکریم صلی الله علیه و آله و الاندفاع نحو تقالید الجاهلیة، من ناحیةٍ أخری فإنها مقدمة لفرض إقامةٍ جبریةٍ علی علیٍّ أمیر المؤمنین علیه السلام و محاصرته و أصحابه اقتصادیاً، لذا بدأت بالدفاع عن حقها أمام غاصبی «فدک»، و طالبت بکل وجودها بإعادة حقها السلیب، لکن النظام الحاکم رفض أداء حقها بحجةٍ باطلة و حدیثٍ موضوع «نحن معاشر الانبیاء لانورث». أقبلت سیدة نساء العالمین مع لمة من نساء بنی هاشم إلی مسجد النبیِّ صلی الله علیه و آله لتعلن عن رأیها و ظلامتها أمام جمهور المسلمین، و سادات المهاجرین و الانصار حتی تتمَّ حجتها، و تکشف حجج هذا الغصب العجیب و المصادرة الظالمة من قبل جهاز النظام، إظافةً إلی فضح صفوف المدافعین عن سیاسة التجاوز و تمییزهم عن الأمناء الحقیقیین للإسلام. غیر مکترثة للضجة المفتعلة بهذا الخصوص و ماستفرزه هذه الفضیحة الکبیرة من نتائج، فقد استمرت فی تصمیها، و احتجت علی «غصب فدک» من خلال خطبة غراء ألقتها أمام المهاجرین فی المسجد مزیلةً الستار عن کثیرٍ من الحقایق. کانت هذه الخطبة بمثابة تحذیرٍ مروع لأولئک الذین سعوا إلی حرف الحکومة الإسلامیة و خلافة الرسول صلی الله علیه و آله عن مسیرها الحقیقی و تضییع تلک الجهود التی تحملها لأکثر من عقدین. کانت خطبتها «ناقوس الخطر» لأولئک الذین ینبض قلبهم بعشق الاسلام، و یخافون علی مستقبل هذا الدین الطاهر. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۰۳ و «الإنذار العنیف» لأوئک الغافلین عن تغلغل المنافقین و نفوذهم فی الجهاز السیاسی بعد الرسول صلی الله علیه و آله، و المتجاهلین لأعمالهم المبطنة. «الصرخة الألیمة» فی حمایة علیٍّ أمیر المؤمنین علیه السلام و وصیّ رسول رب العالمین صلی الله علیه و آله، حیث تجاهل بعض السیاسیین کلَّ ما ورد فیه من آیاتٍ قرآنیةٍ و توصیاتٍ للرسول صلی الله علیه و آله.

«إحقاق الحق المهضوم» لتوعیة کل من غُصب حقه و هو یفضل المسالمة و السکوت علی الانتفاضة و التصدی. «الصیحة المؤثرة» التی دوی صداها فی کلّ مکان، و بقیت آثارها علی مر العصور و القرون. «الزلزال العمیق» الذی أیقظ أمواجه المتلاطمة تلک الأرواح النائمة- ولو مؤقتاً-، و أظهر لها طریق الحق. و أخیراً فقد کانت «الصاعقة المحیتة» التی حلت علی رؤوس أعداء الإسلام و أخذتهم بغتة، أما عمق التحلیلات التی أوردتها الصدیقة الطاهرة بشأن أعقد المسائل المرتبطة بالتوحید و المبدأ و المعاد فانما تکشف عن بعد نظرها وسعة رؤیتها علیه السلام. إن ما تضمنته خطبة ابنة الرسول الکریم صلی الله علیه و آله من تفسیرٍ للقضایا العقائدیة و السیاسیة و الاجتماعیة لهو دلیل واضح و دامغ علی أن تلک الصدیقة لیست متعلقة بزمان دون آخر. الملاحم الثوریة التی جرت علی لسان فاطمة علیها السلام فی هذه الخطبة، تدل علی أنها سیدة فدائیة، مجاهدة، و زعیمة صالحة للملقاتلین فی سبیل اللّه و المجاهدین فی سبیل الحق. إن لحن سیدة النساء فی هذه الخطبة الذی ینفذ إلی أعماق روح الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۰۴ الإنسان و قلبه یبین حقیقة مهمة و هی أنها محدثة بلیغة، و خطیبة مقتدرة، کزوجها أمیر المؤمنین علی علیه السلام، فقد کانت هذه الخطبة الغراء علی غرار خطب علیٍّ علیه السلام فی نهج البلاغة و سارت معها جنباً إلی جنب حتی أظهرت الایام أن ابنتها زینب قد ورثت ذلک من أبیها و أمها معاً، حیث ألقت بخطبها فی سوق الکوفة و مجلس یزید الرعب فی نفوس بنی أمیة المجرمین، و زلزلت أرکان دار الامارة و نثرت بذور الثورة فی قلوب أهل الکوفة و الشام ضد هذه الحکومة الجائرة الجبارة. أفرزت خطبة فاطمة الزهراء علیها السلام العدید من الدروس، فما بینته فی أدق مسائل الفلسفة و أسرار الأحکام، و تحلیل تأریخیٍّ سیاسیٍّ للإسلام، و مقارنةٍ بین العرب فی زمن الجاهلیة و بین حیاتهم بعد ظهور الإسلام تعتبر دروساً عظیمة المعنی یستفید منها کل من یسسیر علی خطی الحقِّ مجاهداً فی سبیل اللّه. و الاهم من ذلک أنَّ فاطمة علیها السلام أفصحت عن موقف آل بیت النبّی صلی الله علیه و آله بالنسبة إلی النظام الحاکم، و برئت ساحة الإسلام المقدسة من الظلم و الجور الذی ارتکب باسم الإسلام، و لو انحصرت فائدة الخطبة فی هذا الأمر، لکان کافیاً! الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۰۵

أسانید و وثائق الخطبة

تعد هذه الخطبة واحدةً من الخطب المشهورة التی نقلها کبار علماء الشیعة و السنة بسلسلةٍ کبیرةٍ من الاسانید المعتبرة، خلافاً لما یتصوّره البعض من أنها ضعیفة أو حتی عدیمة السند. و من بین المصادر التی أوردت هذه الخطبة هی: ۱- أورد عالم أهل السنّة المشهور ابن أبی الحدید المعتزلی فی توضیح رسالة «عثمان بن حنیف» فی الفصل الأول من «شرح نهج البلاغة» و ثائقاً مختلفةً عن خطبة سیدة الإسلام فاطمة علیها السلام، و یصرح قائلًا بأن الاسانید التی أوردتها لهذه الخطبة لیست مأخوذةً من أیٍّ من کتب الشیعة. ثم یشیر إلی کتاب «السقیفة» ل «أبوبکر أحمد بن عبد العزیز الجوهری» الذی یعدُّ واحداً من کبار محدثی أهل السنّة بأنه نقل هذه الخطبة فی کتابه من عدة طرق- و أورد ابن أبی الحدید جمیع تلک الطرق فی شرح نهج البلاغة، و لغرض الاختصار فقد صرفنا النظر عن ذکرها- بعدها یضیف، عندما عزمت الحکومة علی غصب «فدک» أقبلت الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۰۶ فاطمة علیها السلام إلی المسجد ما تخرم مشیتها مشیة رسول اللّه، و هناک ألقت خطبتها الغراء. ثم ینقل ابن أبی الحدید تلک الخطبة المشهورة و المعروفة و ان کان هنالک إختلاف طفیف فی عبارات هذه الخطبة فی بعضی النقول. ۲- أورد «علی بن عیسی الأربلی» هذه الخطبة فی کتاب «کشف الغمّة» نقلًا عن کتاب «السقیفة» لأبی بکر أحمد بن عبد العزیز. ۳- أشار «المسعودی» فی «مروج الذهب» إلی الخطبة بشکلٍ إجمالی. ۴- «السید المرتضی العالم و المجاهد الشیعی الکبیر أورد هذه الخطبة فی کتابه «الشافی» نقلًا عن عائشة زوجة رسول اللّه صلی الله علیه و آله. ۵- ذکر المحدث المعروف «المرحوم الصدّوق» مقتطفاتٍ منها فی کتاب «علل الشرائع». ۶- روی الفقیه المحدث المرحوم الشیخ «المفید» قسماً من هذه الخطبة. ۷- أورد «السید بن طاووس» قسماً منها فی کتاب «الطرائف» نقلًا عن کتاب «المناقب» ل «أحمد بن موسی ابن مردویه الأصفهانی» و هو من مشاهیر أهل السنّة الذی نقلها بدوره عن عائشة. ۸- و

أوردها المرحوم «الطبرسی» صاحب کتاب «الاحتجاج» بصورة مرسلة «۱» علی کل حال فإن هذه الخطبة التأریخة هی واحدة من خطب أهل البیت علیه السلام المعروفة، و طبقاً لما نقل فإنَّ کثیراً من الشیعة المخلصین الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۰۷ أوصوا أبناءهم بحفظ هذه الخطبة، حتی لا یستقر علیها غبار النسیان بمرور الزمن، و لا تکون محطاً للتجاهل و التصغیر من قبل الأعداء المغرضین. و الاولی أن یحفظها الیوم جیل الشباب الشجاع و ینقلها لأجیال الغد. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۰۸

المحاور السبعة لخطبة فاطمة الزهراء علیها السلام

تتضمن هذه الخطبة الغراء التی قلّ نظیرها سبعة محاور، و تدور حول سبعة مباحث ینشد کل منها هدف واضح، و یجب دراسة کلٍّ منها بصورة مستقلة. المحور الأول: تحلیل عمیق و مختصر لمسائل التوحید و صفات الخالق و أسمائه الحسنی و هدف الخلقة. المحور الثانی: التذکیر بمنزلة الرسول صلی الله علیه و آله السامیة و صفاته و مسؤولیاته و أهدافه. المحور الثالث: التحدث عن أهمیة القرآن المجید و عمق تعالیم الإسلام، و فلسفة الأحکام وأسرارها، و الارشادات و النصائح فی هذا المجال. المحور الرابع: من خلال تعریف نفسها، تقوم سیدة النساء علیها السلام بالإفصاح عن خدمات أبیها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله لهذه الأمة، و هنا تذکّرهم فاطمة الزهراء علیها السلام بعصر الجاهلیة القریب لیکون لهم عبرة، و من ثم مقارنته مع وضعهم بعد الإسلام، و اتخاذ درسٍ من هذا الاختلاف و التغییر. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۰۹ المحور الخامس: تفصح عن الأحداث التی تلت وفاة الرسول الکریم صلی الله علیه و آله، و سعی حزب المنافقین لمحو الإسلام. المحور السادس: تتحدث عن الحجج الواهیة التی اتّخذوها ذریعةً فی غصب «فدک»، و من ثم تفنید تلک الحجج. المحور السابع: و من أجل أن تُتِمَّ حجتها تقوم سیدة النساء علیها السلام باستنصار الأنصار و أصحاب الرسول صلی الله علیه و آله المخلصین، و تنهی خطبتها ببشارتهم بالعذاب الإلهی. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۱۰ المحور الأول

توحید اللَّه و صفاته و هدف التکوین

النص: الحمد اللَّه علی ما أنعم و له الشکر علی ما ألهم و الثناء بما قدم، من عموم نعمٍ ابتدأها، و سبوغ آلاءٍ أسداها، و تمام منٍن والاها! جمَّ عن الإحصاء عددها، و نأی عن الجزاء أمدها، و تفاوت عن الإدراک أبدها، و ندبهم لاستزادتها بالشکر لاتصالها و استحمد إلی الخلائق بأجزالها، و ثنی بالندب إلی أمثالها. و أشهد أن لا إله إلّا اللَّه، وحده لا شریک له، کلمة جعل الإخلاص تأویلها و ضمن القلوب موصولها، و أنار فی الفکر معقولها. الممتنع من الأبصار رؤیته، و من الالسن صفته، و من الأوهام کیفیته. إبتدع الأشیاء لا من شیءٍ کان قبلها، و أنشأها بلا احتذاء أمثلةٍ امتثلها. کونها بقدرته و ذرأها بمشیئته من غیر حاجةٍ منه إلی تکوینها، ولا فائدة له فی تصویرها إلّا تثبیتاً لحکمته، و تنبیهاً علی طاعته، و إظهاراً لقدرته، و تعبداً لبریته و إعزازاً لدعوته ثم جعل الثواب علی طاعته ووضع العقاب علی معصیته، زیادةً لعباده عن نقمته و حیاشةً لهم إلی جنته. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۱۱ المناقشة: فی القسم الأول للخطبة عدداً من المسائل المهمة الجدیرة بالبحث: ۱- الالتفات إلی الحقیقة التی نعیشها، و هی أنَّ نِعَمَ اللَّه جل و علا قد أحاطت بکلٍّ وجودنا حتی غرقنا فیها، و هذا الأمر یحیی فینا حسَّ الشکر و الثناء بل و یجرنا إلی معرفة ذاته الطاهرة. و هذا ما یعتمد علیه علماء علم الکلام- العقائد- تحت عنوان «وجوب شکر المنعم» فی مسألة وجوب معرفة اللَّه سبحانه و تعالی ۲- إذا کان اللَّه سبحانه و تعالی قد دعی عباده إلی شکر نِعمه، فلیس ذلک من باب الحاجة له، بل لیکتسب العباد من خلاله- الشکر- لیاقةً أکبر و درجةً أعلی و بالتالی تشملهم نعماً أوفر. ۳- إنّ العباد عاجزون عن أداء حق الشکر للَّه، لأن التوفیق للشکر هو نعمةٌ بحد ذاته، کما أن آلات الشکر من- فکرٍ و یدٍ لسان- هی أیضاً من نِعم اللَّه، لذا لیس لهم إلا الاعتراف بالعجز. «و کیف أؤدی حق شکرک و شکرک

یحتاج إلی شکر». ۴- الإخلاص هو روح التوحید، تطهیر الروح من دَنس الشرک باللَّه، و منح القلب کرهینةٍ لحبه، و الخضوع و الخنوع لأمره و خلاصة القول تجاهل و نبذ کل ما لا یُرضی اللَّه و نسیان کل شیء سواه! ۵- فی الواقع أن التوحید قد أودع فطرة الإنسان منذ البدء و یشع هذا النور الإلهی فی أعماق کل إنسان، و کل واحدٍ منهم یسمع من باطنه نداء «اللَّه اکبر»، و لهذا فعند ما یتضاعف البلاء و تتمزق أستار الغفلة یظهر هذا الإشعاع بوضوح أکثر من أی وقتٍ آخر، و ینجذب الجمیع لا إرادیاً نحو أنفسهم مرددین «لا إله إلا هو». الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۱۲ ۶- لا یمکن درک کُنه ذاته حتی بالتفکر العمیق، حیث: «کُلّما مَیّز تُمُوهُ بأوْهامِکمْ فی أدَقّ مَعانِیهِ مخلوقٌ مصنوع مثلُکُم مردُودٌ إلیْکُم» «۱» کما لایمکن معرفة کنه صفاته، لذا یجب أن نعترف جمیعاً بأن: «وَ ما عَرَفْناکَ حَقَّ معرفَتِکَ» «۲» «ما عَبَدناکَ حَقَّ عِبادَتِکَ». «۳» ۷- تعد مسألة الخلق و التکوین البدائی واحدةً من المسائل المهمة، فلم تکن هناک مادةٌ مصنوعةٌ من قبل حتی یخلق اللَّه منها هذا العالم، بل أن الخلق و التکوین قد تم من العدم، و قد اختصت هذه الخلقة بذاته الطاهرة حتی صعب علی البعض تصور ذلک. ۸- المسألة المهمة الأخری فی أمر الخلق و التکوین هی أن المصورین یعتمدون دائماً فی تصویرهم و رسوماتهم علی ما یستلهمونه من الطبیعة، و أحیاناً یقومون بخلط أشکالٍ مختلفةٍ لیُبدعوا فی صنع شکلٍ جدید، أما اللَّه سبحانه و تعالی فهو المبدع الذی صوّر العالم و جسّمه دون تحضیرٍ مسبقٍ أو تمثیلٍ قبلی. ۹- البحث المهم الآخر فی هذا المحور من الخطبة التأریخیة لسیدة النساء علیها السلام هو الغنی المطلق للَّهعن کل شیء. من البدیهی أن الوجود اللامتناهی من جمیع النواحی للذات المقدّسة یجعلها غنیّةً مطلقة عن کلّ نوعٍ من أنواع الحاجة. لأن «الحاجة» تدل علی «النقص» و النقص ینحصر فی الموجودات التی یمکن تصوّرها، الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۱۳ لا فی ذات الحق الغیر متناهیة. ۱۰- و أخیراً فإن المسألة المهمة الاخری التی طُرحت فی هذا المحور هی «هدف الخلق»، حیث تلخص سیدة الإسلام ذلک فی جُملٍ قصیرةٍ عظیمة المعنی أ- تبیین و توضیح الحکمة الإلهیة اللامتناهیة. ب- دعوة العباد إلی طاعته. ج- الإشارة إلی قدرته المطلقة. د- دعوة العباد إلی عبودیته. ه- منح أنبیائه القوة. هذه هی الأهداف التی بیّنتها فاطمة الزهراء علیها السلام فی مسألة الخلق، والمُلفت للنظر أن هذه الأهداف ملازمةً لبعضها البعض، فعند ما یری العبد آثار حکمة الخالق و قدرته فی عالم الوجود الواسع ینقاد إلی طاعته، و یتوجه إلی عبودیته و ینعقد بمدارج کماله. و من ناحیةٍ أخری یکون للأنبیاء نفوذ أکثر و أعمق فی قلوب الناس عند ما یکون حدیثهم مرتکزاً علی نظام خلق عالم الوجود، فتسهل علیهم مسألة الهدایة. و علیه فلم یخلق اللَّه الکون حتی یستفید، بل إن الهدف هو أن یجود علی العباد، فإرادته فی أن ینتهجوا سبیل الهدایة، فدعاهم إلی قربه، ولیسیروا علی نهجه فیستحقوا المزید من کرمه و لطفه. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۱۴ المحور الثانی

منزلة الرسول الکریم صلی الله علیه و آله السامیة، خصائصهُ و أهدافه

النصّ: و أشهد أنّ أبی محمداً عبده و رسوله، إختاره و انتجبه قبل أن أرسله، و سمّاه قبل أن اجتبله، و اصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغیب مکنونةٌ و بستر الأهاویل مصونةٌ، و بنهایة العدم مقرونةٌ. علماً من اللَّه تعالی بمائل (بمآل) الأمور، و إحاطة بحوادث الدهور، و معرفةً بمواقع المقدور. ابتعثه اللَّه إتماماً لأمره و عزیمةً علی إمضاء حکمه و إنفاذاً لمقادیر حتمه. فرأی الأمم فرقاً فی أدیانها، عُکفاً علی نیرآنها، (و) عابدةً لأوثانها، مُنکرةً للَّهمع عرفانها. فأنار اللَّه بمحمدٍ صلی الله علیه و آله ظُلمها، و کشف عن القلوب بهمها و جلّی عن الأبصار غممها. و قام فی الناس بالهدایة و أنقذهم من الغوایة و بصَّرهم من العمایة. و هداهم إلی الدین القویم و دعاهم إلی الطریق المستقیم، ثم قبضة اللَّه الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۱۵ إلیه قبض رأفةٍ و اختیارٍ و رغبةٍ و إیثارٍ، فمحمدٌ صلی الله علیه و آله عن (مِنْ) تعب هذه الدار فی راحةٍ، قد حُف بالملائکة الأبرار، و رضوان الرب الغفار، و مجاورة الملک الجبار. صلّی اللَّه علی أبی نبیّه و أمینه علی الوحی و صفیّه و خیرته من الخلق و رضیّه و السلام علیه و رحمة اللَّه و برکاته. التفسیر: تشیر مولاتنا فاطمة الزهراء علیها السلام فی هذا المحور من خطبتها إلی جزء من المسائل المهمة المتعلقة بشخص رسول اللَّه صلی الله

علیه و آله، منها: ۱- تتحدث عبارتها الأولی عن جوهر ذات الرسول صلی الله علیه و آله المقدسة الشیء الذی أشیر إلیه فی سائر الأحادیث الإسلامیة أیضاً و هنا یبرز بحث مهمٌ و هو، هل تختلف النشأة التکوینیة للرسول صلی الله علیه و آله کلیاً عن الآخرین؟ و إذا کان کذلک فإن عصمته تکون جزءً من مستلزمات تلک الذات، و لیس فی هذا من فضل. و إذا کان جوهره لا یختلفف عن الاخرین، إذاً فما الهدف الذی تبغیه مولاتنا من وراء هذه التعابیر؟ الحقیقة هی أن میزات و مواهب الأنبیاء و الأئمة تنقسم إلی قسمین، فبعضها ذاتیة و بعضها الأخرای مُکتسَبة، و بالتدقیق فی هذا الترکیب الخاص فقد أجیب علی کثیرٍ من التساؤلات. وبتعبیرٍ آخر، فإن الرب الحکیم الذی حمّل نبیه أعباء تلک المهمة العظیمة منحه استعداداتٍ ذاتیة: فقد أعطاه جوهراً ممتازاً، ذکاء متوقداً، إرادةً حدیدیدةً، عزماً راسخاً، و علماً و فیراً و تشخیصاً صائباً، و إلا فلن الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۱۶ یتمکن شخصٌ ضعیفٌ من القیام بهذه الرسالة الکبیرة و سینتفی غرضها. و هذا الأمر لا یتّصف إلا بالعدالة، فقوة عضلات الساعد تفوق بکثیرٍ قوة عضلات جفن العین، لأن وظیفة الأخیرة رفع و خفض جفن العین، فی حین وظیفة الأخری رفع الأحمال العظیمة و إنجاز الأعمال الثقیلة، و خلاف ذلک هو خلافٌ للعدالة. و مع هذا فإن الجوهر الذاتی للرسول صلی الله علیه و آله لم یسلب منه الإرادة و الاختیار، فهو أیضاً له القدرة علی المعصیة «و العیاذ باللّه»، علماً أنه لا یرتکب المعصیة. لا تتعجب، فالکثیر من الناس العادیین یتمتعون بنفس هذه الحالة بالنسبة لبعض المعاصی، فمثلًا یستطیع کل امرئٍ أن یظهر عاریاً کما ولدته أمه أمام جمعٍ من الناس، أو أن له القدرة علی النوم عاریاً فی ثلوج لیلة شتاءٍ قارصة، ولکن فی نفس الوقت لاتصدر هذه الأفعال إلا من المجانین. یتمتع الأنبیاء و الأئمة المعصومون بنفس هذه الحالة بالنسبة لجمیع المعاصی. و هذا یُلفت النظر إلی المسؤولیة الکبیرة التی یتحملها المعصومون تجاه جوهرهم الطاهر، فلا یُقبل منهم أبداً ترک العمل بالأولی و تعبیر فاطمة علیها السلام الذی تقول فیه «عِلماً من اللّه تعالی بمائل الأمور و إحاطةً بحوادث الدهور» إنما یُشیر إلی تلک النقطة، و هی أن اللّه یعلم بثقل الرسالة التی ستُلقی علی عاتق النبی صلی الله علیه و آله لذا جعل جوهره بهذا المستوی الممتاز. ۲- جاء الرسول صلی الله علیه و آله لإتمام الأوامر الإلهیة، و تنفیذ أوامره التکوینیة. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۱۷ تشیر هذه العبارة إلی مسألة ختم النبوة بالرسول الکریم صلی الله علیه و آله، وهی أیضاً إشارة إلی مسألة إتمام المواهب التکوینیة عن طریق التشریع والأحکام الإلهیة. ۳- تعرّج ابنة رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی هذا المقطع من حدیثها علی الوضع المأساوی للأمم قبل بعث الرسول صلی الله علیه و آله و کیفیة ابتلائهم بظلمة الخرافات، المجوس فی تعظیمهم للنار، و العرب فی عبادتهم للأصنام، و سائر الملل فی ابتلائها بنوعٍ من الانحراف و التفرقة. و ما أعظم قولها «مُنکِرَةٌ لِلّهمع عرفانه» الذی تشیر فیه إلی مسألة «التوحید الفطری» المکنون فی کل البشر. ۴- تشیر علیها السلام فی قسم آخر من بیانها الرائع إلی برکات وجود النبی «ص» و آثار قیامه، و کیف أبعد عن أفق أفکارهم سحب الأوهام السوداء المظلمة، و أزال عن قلوبهم صدأ الجهل و الخرافات، و مزّق الغشاوة التی حجبت أبصارهم عن مشاهدة الحق، و دعاهم إلی «الصراط المستقیم» و الحد الأوسط الذی یفصل بین الإفراط و التفریط. و من أجل فهم و درک عمق هذا الحدیث، یجب إجراء مقارنةٍ دقیقةٍ بین وضع الناس فی عصر الجاهلیة و وضعهم بعد ظهور الإسلام، حتی یتّضح الواقع الذی بیّنته سیدة الإسلام علیه السلام فی خطبتها. ۵- من المسائل التی یجدر الإشارة إلیها فی هذا المقطع من خطبة سیدة النساء علیها السلام التأریخیة هی الموت الکریم- أو العزیز- للرسول صلی الله علیه و آله: ذلک الذی کبلت روحه المتألقة بقیود الجسد فی هذه الدنیا الفانیة، و بعد أن أدی الرسالة، و أتمَّ المسؤولیة، کسّر تلک القیود محلّقاً نحو الحبیب، مرفرفاً فی فنائه، آخذاً مکانه بین ملائکة السماء المقرّبین! الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۱۸ المحور الثالث

کتاب اللّه و فلسفة الأحکام

النص: ثم التفتت علیه السلام إلی أهل المجلس و قالت: أنتم عبادَاللّه نُصْبُ أمره و نهیه، و حملة دینه و وحیه، و أُمناء اللّه علی أنفسکم، و بُلغاؤه إلی الامم. و زعیم حقٍّ له فیکم، و عهدٌ قدّمه إلیکم. و بقیةٌ استخلفها علیکم کتاب اللّه الناطق، و القرآن الصادق، و

النور الساطع، و الضیاء اللامع، بیّنةٌ بصائره، منکشفةٌ سرائره، متجلیةٌ ظواهره، مغتبط به أشیاعه، قائدٌ إلی الرضوان اتِّباعه، مؤدٍّ إلی النجاة استماعه، به تُنال حجج اللّه المنوَّرة، و عزائمه المفسرَّة، و محارمه المحذَّرة، و بیِّناته الجالیة و براهینه الکافیة، و فضائله المندوبة و رُخصه الموهوبة و شرایعه (شرائعه) المکتوبة. فجعل اللّه الإیمان تطهیراً لکم من الشرک، و الصلاة تنزیهاً لکم عن الکبر، و الزکاة تزکیةً للنفس، و نماءً فی الرزق، و الصیام تثبیتاً للإخلاص، والحج تشییداً للدین، والعدل تنسیقاً للقلوب، و طاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفُرقة (للفُرقة)، و الجهاد عزّاً للإسلام، و الصبر معونةً الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۱۹ علی استیجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحةً للعامة، و برَّ الوالدین وقایةً من السخط، و صلة الأرحام مُنماةً للعدد، و القصاص حقناً للدماء والوفاء بالنذر تعریضاً للمغفرة و توفیة المکاییل و الموازین تغییراً للبخس، و النهی عن شرب الخمر تنزیهاً عن الرجس، و اجتناب القذف حجاجاً عن اللعنة و ترک السرقة إیجاباً للعفة و حرَّم اللّه «۱» الشرک إخلاصاً له بالرُّبوبیة. ف «اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ» «۲» و أطیعوا اللّه فیما أمرکم به ونهاکم عنه، فإنه «إِنَّمَا یَخْشَی اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» «۳» التفسیر: تُشیر سیدة الإسلام علیه السلام فی هذا القسم من الخطبة إلی أمورٍ مهمةٍ أیضاً، منها: ۱- تعد مسؤولیة المسلمین فی إبلاغ الرسالة و نشر الإسلام فی العالم، والدفاع عن قوانین و تعالیم و قیم الدین الحنیف من المسؤولیات الخطیرة التی لو تقاعس المسلون عن أدائها کان حقّا علیهم أن ینتظروا العقاب والجزاء الإلهی، و أن یطردوا من ساحة رحمته الواسعة. ۲- نبهت إلی عظمة القرآن علی أنه کتاب ناطق و نور جلی وضوء مشع، حارب و بشدة ظلمات الجهل و التعصب و الخرافات. ذلک الکتاب الذی ظاهره الجمال و النور، و باطنه العبرة و المعنی الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۲۰ الغزیر، و أدلته مقنعةً منجیةً. ذلک القائد الذی یضمن لتابعیه النجاة، حیث دعاهم إلی جنةٍ أزلیة. فهو قائد النجاة الذی بیَّن بمنطقه الفصیح أدلة التوحید، و ثبت مبادیء العقیدة ببراهینه النیرة، و أفصح عن البرامج العملیة التی یحتاجها المرء فی طریق تکامل الإنسانیة، فشخص «المباح» من «المحظور»، «الجید» من «الردیء» و «الحق» من «الباطل». ۳- أبدعت فی تبیان فلسفة الأحکام من خلال عباراتٍ قصیرة، فبدأت بالإیمان حتی الوفاء بالنذر، و من التوحید حتی ترک البخس فی المیزان، فوصفت کلًا منها بجملةٍ و مقوله. فما أحلی تعبیرها «فجعل اللّه الإیمان تطهیراً لکم من الشرک». یتضح من هذا التعبیر أنَّ حقیقة معرفة اللّه و توحیده مکنونة فی فطرة الإنسان، لهذا جاء الإسلام لیطهره من الملوثات العرضیة التی تنتج عن طریق الشرک، کما تغسل الثیاب البیض بعد اتساخها لیظهر لونها الأصلی. شرع اللّه «الصلاة» لیوطن بها روح التواضع فی الناس، و یسحب المتکبرین من منصة الغرور، عن طریق الرکوع و السجود، و الدعاء فی حضرة الخالق. «الزکاة» تکون سبباً فی تحریر روح الإنسان من أسر الدنیا و تعلقه بزخرفها و أموالها، و تنمیة ثروات الأمة من خلال تعزیز البنیة المالیة للمحرومین. «الصیام» یجعل الإنسان مسیطراً علی هوی نفسه، و یثبت فیه روح الإخلاص، و یضفی علی أغصان وجوده براعم و زهور التقوی الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۲۱ «الحجُّ» ذلک التجمع الإسلامی العظیم الذی تثبت فیه أُسس الإسلام، و تعزز فیه قدرات المسلمین قی شتی المجالات الفکریة و العلمیة و العسکریة و السیاسیة. «العدالة الاجتماعیة» تغسل الأحقاد من القلوب، و تزیل الاضطرابات و تقر التنظیم و عن طریق قبول قیادة الهداة المعصومین، یمنح اللّه المسلمین نظاماً اجتماعیاً سالماً منتهجاً خط التوحید، و یبعد عنهم النفاق و التفرقة. کذلک فی مسائل الجهاد و الصبر و الاستقامة و الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و ما یتعلق بمسائل القصاص و الالتزام بالتعهدات، و محاربة من یبخس المیزان و طهارة الحجور من الفجور و ترک شرب الخمر، فقد أشارت سیدتنا إلی کل ذلک مبینةً آثار و علاج کلٍّ منها. ۵- تعود سیدة الإسلام علیها السلام مرةً أخری إلی مسألة مسؤولیة المسلمین تجاه القرآن المجید و الإسلام، و تدعوهم إلی التقوی مذکرةً إیاهم بعواقب الأمور، حیث تصرُّ علیهم بمراقبة أعمالهم حتی یودعوا دار الفناء و هم مسلمون!. کونوا علی حذر و إعملوا ما یجعلکم تموتوا مسلمین! نوروا أرواحکم و قلوبکم بنور العلم و المعرفة، لأن العلماء فقط یشعرون بالمسؤولیة و یخافون اللّه سائرین علی خطّ التقوی الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۲۲ المحور الرابع

إعلان موقفها من النظام الحاکم

النص: ثم قالت أيها الناس إعلموا أنّي فاطمة، و أبي محمّد صلى الله عليه و آله أقول عوداً و بدأً و لا أقول غلطاً، و لا أفعل ما أفعل شططاً. لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُم عَزيزٌ عَلَيْه ما عَنِتُّمْ حَريصٌ عَليْكُم بالمُؤْمِنينَ رَءُوفٌ رَحيمٌ» «۱». فإن تعزوه و تعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم، و أخا ابن عمّي دون رجالكم، و لنعم المعزى إليه صلى الله عليه و آله. فبلغ بالرسالة صادعاً بالنذارة، مائلًا عن مدرجة المشركين ضارباً ثبجهم، آخذاً بأكظامهم داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة و الموعظة الحسنة، يكسر الأصنام و ينكت الهام، حتى انهزم الجمع و ولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه، و أسفر الحقُّ عن محضه، و نطق زعيم الدين، و خرست شقاشق الشياطين، و طاح و شيظ النفاق، و انحلت عقد الكفر و الشقاق و فهتف بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۲۳ و كنتم على شفا حفرةٍ من النار، مذقة الشارب و نهزة الطامع، و قبسة العجلان، و موطىء الأقدام. تشربون الطرق، و تقتاتون الورق، أذلةً خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم. فأنقذكم اللَّه تبارك و تعالى بمحمدٍ صلى الله عليه و آله بعد اللتيا و التي، بعد أن مُنيَ ببهم الرجال، و ذؤبان العرب و مردة أهل الكتاب كلما أو قدوا ناراً للحرب أطفأها اللَّه، أو نجم قرن للشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفأ حتى يطأ صماخها بأخمصه، و يخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات اللَّه، مجتهداً في أمر اللَّه، قريبا من رسول اللَّه، مشمرا ناصحاً، مجدا كادحا وأنتم في رفاهيةٍ من العيش، و ادعون فاكهون، آمنون تتربصون بنا الدوائر، و تتوكفون الأخبار، و تنكصون عند النزال، و تفرون عند القتال. التفسير: تضمن هذا القسم أيضاً حقائق كبيرة: ۱- بضعة النبي تقوم بكشف هويتها للحاضرين قبل كلِّ شيءٍ، و تفرغ ما بأيديهم من حججٍ و أعذارٍ، حتى لا يدّعي أحد بإني لم أعرف بنت النبيّ صلى الله عليه و آله، و إلا سارعت لنصرتها. تركز بشكل خاص على نسبتها للنبيّ صلى الله عليه و آله، و تتكلم عن ارتباطها بعليٍّ عليه السلام، ثم تؤكد على أن ما أنطق به هو عين الحقيقة، لا أتحدث جزافاً، و لا ينطق لساني بغير حسابٍ ولو بكلمة، فاستمعوا جيداً لما أقول، و عوا مسؤوليتكم العظيمة تجاه هذه الحادثة!. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۲۴ ۲- الألم العميق بعدها تذكر بعلاقة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بهم و كيف كان يتألم لآلامهم و أنه كان شريكاً لهم في غمومهم، مستندةً على الصفات الخمسة التي وصف القرآن المجيد نبيه بها في إحدى آياته الشريفة: «لَقد جاءَكُم رَسولٌ مِن أنفسِكُمْ عزيزٌ عليهِ ما عِنتُّمْ حَريصٌ عليْكُم بالمؤمنينَ رؤوفٌ رحيم» «۱» تلك الصفات التي شاهدها و عرفها الأصحاب في رسول اللَّه صلى الله عليه و آله. ۳- الجهود الشاقة للنبي صلى الله عليه و آله ثم تذكر بالمعاناة الجسمية التي مرت بالرسول صلى الله عليه و آله و كيف أنه قام منفرداً بإبلاغ رسالة ربه العظيمة، دون أن يجد الانحراف سبيلًا إلى نفسه، مرغ أنوف المتعنتين بالتراب، و حطم أدمغة المتكبرين، و كان سلاحه المنطق و الدليل و الموعظة و الحكمة لمن طلب الحق و استقصى عنه، إلى أن كسر شوكة المشركين، و دمر معابد الأصنام، و تفرَّق أعداء اللَّه، فانزالت الظلمات و شعَّ النور، و فرت الخفافيش، و تمكن جمع من الناس أن يرددوا نغمة التوحيد «لا إله إلّا اللَّه» علناً في ديار الكفر. ۴- الماضي المشين تقوم فاطمة الزهراء عليها السلام بتذكير هم بذلك اليوم الذي كانوا فيه مجموعةً الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۲۵ مؤمنةً صغيرةً تتصارع في وسط طوفانٍ صعبٍ و موحش، فمن ناحيةٍ تداعب وسوسات مراحل الشرك و عبادة الأصنام مخيلا تكم أحياناً، و تجركم إلى شفا جرف نار جهنم، و من ناحيةٍ أخرى فإن أعدائكم الأقوياء الظالمين قد أحاطوكم من كلِّ جانب، يتربصون بكم الدوائر ليسحقوكم بأيديهم و أرجلهم بطرفة عين، و كنتم تحت حصارٍ رهيب، ليس لكم إلا الماء الآسن و الغذاء الردىء، تخافون مصيركم المجهول. لكن، شاء اللَّه أن يكسر أسنان هؤلاء الذئاب المصاصين للدماء، و يضرب رؤوس هذه الأفاعي بالحجر، و يسلط هذه الفئة القليلة المستضعفة عليها، و هو على ما يشاء قدير فعال لما يريد. لم يمضِ وقت حتى خمدت نيران الفتن، و سكنت الأعاصير، و فرت العفاريت، و اختفى اللصوص و قطاع الطرق الذين كانوا يستفيدون من ظلمات ليالي الجاهلية بعد أن أشرق العالم بنور شمس الإسلام. نعم، ذكرت فاطمة عليها السلام الحاضرين بتلك اللحظات الحساسة التي أثقلت كاهل المؤمنين و جعلت يومهم كقرنٍ من الزمان، حتى لا يتناسوا نِعَمَ اللَّه الجزيلة، و لا ينكروا المواهب الإلهية، و يسعون في

استمراریة و دیمومة هذا الخط الإلهیّ و الرسالیّ العظیم و لا یستسلموا لما یروجه و یحیکه الأعداء. ۵- خدمات علیّ علیه السلام: تذکر ابنة النبی صلی الله علیه و آله فی وسط حدیثها بما قدمه أمیر المؤمنین علی علیه السلام من خدماتٍ لهذه الأمة، و کیف أن النبیَّ صلی الله علیه و آله کان یرسله لمواجهة الحوادث الخطرة و التصدی لها، و هو یقوم لها مؤثراً بنفسه، مضحیاً و الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۲۶ فدائیاً، فینقضُّ علی الفتن فیخمدها و یعود منتصراً، أهوی برؤوس المتکبرین إلی الأرضٍ بسیفه، و مرغ هامات الطواغیت بالتراب، و کان ناصراً و مساعداً للرسول صلی الله علیه و آله و حامیاً و مدافعاً فی کلِّ مکان. نعم فمثل هذا الفرد العظیم یستطیع أن یُدیم خطَّ هذه الثورة الکبیرة و یمنع عنه الانحراف. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۲۷ المحور الخامس

الردة بعد النبی صلی الله علیه و آله

النص: فلما اختار اللَّه لنبیه صلی الله علیه و آله دار أنبیائه و مأوی أصفیائه ظهر فیکم حسیکة النفاق، و سمل جلباب الدین، و نطق کاظم الغاوین و نبغ خامل الأقلین و هدر فنیق المبطلین، فخطر فی عرصاتکم، و أطلع الشیطان رأسه من مغرزه، هاتفاً بکم، فألفاکم لدعوته مستجیبین، و للغرة فیه ملاحظین، ثم استنهضکم فوجدکم خفافاً و أحمشکم فألفاکم غضاباً، فوسمتم غیر إبلکم، و أوردتم غیر شربکم، هذا و العهد قریب، و الکلم رحیب، و الجرح لما یندمل، و الرسول لما یقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، «ألا فی الفِتْنَةِ سَقَطوا و إنَّ جَهَنَّمَ لَُحیطَةٌ بالْکافِرِینَ» «۱» فهیهات منکم؟ و کیف بکم؟ و أنَّی تؤفکون؟ و کتاب اللَّه بین أظهر کم أموره زاهرة [ظاهرة] و أعلامه باهرة، و زواجره لایحة، و أوامره واضحة، قد خلفتموه وراء ظهورکم أرغبةً عنه تریدون؟ أم بغیره تحکمون؟ بئس للظالمین بدلا. «وَمَن یَبْتَغِ غَیْرَ الْإِسْلَامِ دِیناً فَلَن یُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِی الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِینَ» «۲» الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۲۸ التفسیر: ۱- التآمر و الانحراف تشیر سیدة الإسلام علیها السلام فی هذا القسم من خطبتها إلی بقایا أحزاب الجاهلیة و المنافقین الذین ضُیِّقَ الخناق علیهم فی زمن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فأخفوا رؤوسهم فی جحورها، و إختبأوا فی أو کارهم. و فجأةً خرجت حشرات الأرض هذه من جحورها بعد وفاة رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، و ظهرت الخفافیش التی توارت عن الأنظار بسبب هیبة وجود النبی صلی الله علیه و آله و أصبحت تعبث فی المیدان!، و بدأت التحرکات المشکوکة و عادت خطوط الانحراف تظهر من جدید و دخل المتلاعبون بالسیاسة ساحة المعرکة!. ۲- تلبیة البعض لدعوة الشیطان! من هنا تبدأ حسرة بنت النبی صلی الله علیه و آله العمیقة بسبب تلبیة جمع غفیر لدعوة الشیطان، سائرین خلف أصوات البوم المشؤومة، فأصبحوا آلةً بید حزب الشیطان و المنافقین الذین عمیت قلوبهم، و رغم أن کفن الرسول صلی الله علیه و آله لم یزل مبتلًا و لم یزل صوت آذان مؤذنه یدوی فی المسجد و صرخة تکبیره ترن فی القلوب حتی ظهرت حرکات الردّة. باستثناء البسطاء و مریضی القلوب لإنَّ مجموعةً قد اتخذت من التقیة حجة لسکوتهم خوفاً من أن الکلام یوقع الفرقة و الاختلاف بین الجمع، و صاروا متفرجین لهذا المشهد أو موافقین لأحداثه، حتی لا یبرز اختلاف فی حین أن موقفهم هذا هو السبب فی ذلک الانشقاق و الانحراف الکبیرین!. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۲۹ ۳- الاعتصام بالقرآن ثم یصرخ المنادی الإلهی المتمثل بفاطمة الزهراء علیها السلام بهم منبهةً: أین أنتم؟ و إلی أین تولون أیها الضالون؟ فأنها تذکر هم بحدیث أبیها صلی الله علیه و آله: «إذا التبست علیکم الفتن کقطع اللیل المظلم فعلیکم بالقرآن فمن جعله أمامه قاده إلی الجنة و من ترکه ساقه إلی النار!». تصیح بهم بأن لا- تترکوا القرآن، فأوامره و نواهیه واضحة و إرشاداته فی مسألة الخلافة بعد النبی صلی الله علیه و آله بائنة، کما أشار إلی ما سیحصل بعد فاته، خلاصة القول أنه لم یُبقِ شیئاً الّا و أظهر خفایاه. ۴- إنذار أصحاب النبی صلی الله علیه و آله سیدة الإسلام علیها السلام صرخة الزمان المدویة، تحذرهم قائلةً: إن ترکتم تراث النبیِّ صلی الله علیه و آله العظیم «القرآن» و تمسکتم بغیره، و قدمتم أفکارکم العاجزة علی تعالیم الإسلام و جعلتم أنفسکم حکاماً علی القرآن، بذریعة المصلحة و خوف الفتنة لا محتکمین لأوامره، عندها سیصیبکم الضرر الأکبر و الخسران المبین. سوف لن تخمد نار الفتنة

فیکم، و ستبلون بما تخافونه، و ستختفی روح الإسلام من بینکم، فلن یبقی سوی القشر دون اللب و المظهر دون المحتوی الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۳۰

المحور السادس قصة غصب فدک و حجج الغاصبین وتفنیدها

النص: ثم لم تلبثوا إلا ریث (إلی ریث) أن تسکن نفرتها و یسلس قیادها، ثم أخذتم تروون و قدتها و تهیجون جمرتها، و تستجیبون لهتاف الشیطان الغوی و إطفاء أنوار الدین الجلی و إخماد سنن النبی الصفی. تسرون حسواً فی ارتغاءٍ، و تمشون لأهله و ولده فی الخمر و الضراء، و نصبر منکم علی مثل حز المدی و وخز السنان فی الحشا. و أنتم الآن أتزعمون أن لا إرث لنا؟ أفحکم الجاهلیة یبغون و من أحسن من اللَّه حکماً لقوم یوقنون؟ «۱» أفلا تعلمون؟ بلی تجلی لکم کالشمس الضاحیة أنی ابنته. أیها المسلمون أأغلب علی إرثیه؟ یا ابن أبی قحافة! أفی کتاب اللَّه أن ترث أباک و لا أرث أبی؟ لقد جئت شیئاً فریّا. أفعلی عمدٍ ترکتم کتاب اللَّه و نبذتموه وراء ظهورکم إذ یقول: الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۳۱ «وَ وَرِثَ سُلَیْمانُ داوُدَ» «۱». و قال فیما اقتص من خبر یحیی بن زکریا إذ قال: «فَهَبْ لی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیّاً یَرِثُ مِن آلِ یَعْقُوبِ» «۲» و قال: «وَ أُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَی بِبَعْضٍ فی کتاب اللَّه» «۳». و قال: یُوصِیکُمُ اللَّه فی أَوْلادِکُم لِلذّکَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَیَیْنِ» «۴». و قال: «إِن تَرَکَ خَیْراً الْوَصِیَّةُ لِلْوَالِدَیْنِ وَالْأَقْرَبِینَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَی الْمُتَّقِینَ» «۵» و زعمتم أن لا حظوة لی و لا إرث من أبی؟ و لا رحم بیننا؟ أفخصکم اللَّه بآیةٍ أخرج منها أبی؟ أم هل تقولون إن أهل ملتین لا یتوارثان؟ أو لست أنا و أبی من أهل ملةٍ واحدةٍ أم أنتم أعلم بخصوص القران و عمومه من أبی و ابن عمی؟ فدونکها مخطومةً مرحولة، تلقاک یوم حشرک، فنعم الحکم اللَّه و الزعیم محمدٍ صلی الله علیه و آله، و الموعد القیامة و عند الساعة یخسر لمبطلون و لا ینفعکم إذ تندمون، «لِکُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» «۶». الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۳۲ «مَن یَأْتِیهِ عَذَابٌ یُخْزِیهِ وَیَحِلُّ عَلَیْهِ عَذَابٌ مُقِیمٌ» «۱». التفسیر: ۱- إحیاء المذهب الجاهلی بلغ حدیث فاطمة علیها السلام أوجه فی هذا القسم مدلّاً علی ألمٍ و هیجانٍ شدیدین، فحرقة قلبها متأتیة من ظهور أحکام الجاهلیة مرةً أخری حیث أن الأنثی لم تکن لتورث فی زمن الجاهلیة أما الإسلام فقد أبطل ذلک بعد مجیئه مقراً بحصة و سهم جمیع الأقارب فی إرث المسلم، استناداً إلی ذلک فإن الموضوع لم یکن مقتصراً علی مسألة «فدکٍ» فحسب، بل إن المهم فی الدرجة الأولی هو خطر إحیاء سنن الجاهلیة و محو سنن الإسلام، لذا قامت فی هذا القسم بتوجیه اللوم الشدید لهم، مکثفةً حملاتها علیهم. الأعجب من کل ذلک هو تعجیلهم فی إنجاز هذا العمل بشکلٍ أدرک معه الجمیع أن مسألة «غصب فدک» لم تکن مسألةً عادیة، فقد سعوا إلی هذا الغصب قبل أن یُحکموا قبضتهم علی الخلافة، و بتعبیرٍ آخر فإنهم فکروا بذلک قبل أن تغیب شمس ذلک الیوم و هذه نقطة مهمة فی فهم عمق هذه المؤامرة الکبیرة. ۲- أدلة الخصم أشارت بضعة النبی صلی الله علیه و آله فی هذه الخطبة البارعة و الحاکمة العالمة الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۳۳ بصورةٍ ضمنیّةٍ إلی دلائلهم فی ذلک الغصب، حیث ادعوا أن الرسول صلی الله علیه و آله قال «نحن معاشر الأنبیاء لا نورث». بعدها قامت بالرد علی تلک الحجج بأجوبةٍ منطقیةٍ و قاطعةٍ مستدلةً بشواهد من عموم القرآن و خصوصه، فتثبت و من خلال عددٍ من آیات الکتاب زیف هذا الحدیث الموضوع الذی یجب ضربه بعرض الحائط! ۳- فاطمة علیها السلام تقطع جمیع الاعذار لقد استخدمت هذه العالمة الکبیرة حربة الإستدلال فی هجومها علی خصمها بشکلٍ لم تبق له سبیلًا للفرار. تقول علیها السلام إذ کان عذرکم هو الحدیث الموضوع «نحن معاشر الأنبیاء لا نورث»؟ فإن الرد علیه هو ما نصت به آیات القرآن التی ذکرتها لکم، و إذا کان عذرکم منعنا إرثنا فاعلموا أن جمیع الأبناء یرثون آباءهم و أمهاتهم فی الإسلام، باستثناء من لم یکن علی دین و مذهب أبیه، بمعنی أن الأبناء الکفرة «۱» لا یرثون من أبٍ و أمٍّ مسلمین، فهل تعتقدون باختلاف دینی و مذهبی عن دین و مذه بوالدی؟!! و إذا کانت رواسب الجاهلیة و أحکامها التی تنص علی عدم توریث البنات قد علقت فی أذهانکم، فإن هذه الخرافات قد تعطلت و لا سبیل للعودة إلی لیالی الظلمة بعد بزوغ الفجر. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۳۴ ۴- هل أنتم أعلم بالقرآن أم أهل بیت

الوحی علیه السلام؟ تغلق فاطمة الزهراء علیها السلام هذا الطریق علیهم أیضاً حیث یقولون نحن نفهم من القرآن کذا و کذا، فتخاطبهم بالقول: أی مکانٍ من القرآن؟ و بأی تفسیر؟ و من هو أجدر و ألیق لهذا الأمر من ابن عمی علی علیه السلام الذی تربّی فی أحضان الوحی، و هو من کُتّابه، کما أنه سمع القرآن و تفسیره من شفتی الرسول صلی الله علیه و آله؟ الحقیقة هی أن القرآن قد نزل فی بیتنا و «أهل البیت أدری بما فی البیت». خلاصة القول تشیر إلی قضیة وراثة سلیمان لأبیه داود و إرث یحیی علیه السلام من أبیه زکریا علیه السلام الذین کانوا جمیعاً من الأنبیاء الکبار، و تقول علیها السلام علی خلاف هذه الروایة الموضوعة- یصرح القران بأن کلًّا من الأبناء قد ورث أباه، و نعلم جیداً أن کل روایةٍ تخالف القرآن یسقط اعتبارها. و تستدل أیضاً بعموم القرآن، حیث تنص الآیة الشریفة «یُوصِیکُمُ اللّهُ فِی أَوْلَادِکُم لِلذَّکَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَیَیْنِ» «۱» و کذلک «أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَی بِبَعْضٍ فِی کِتَابِ اللّهِ»، «۲» فتستفهم قائلةً: هل یمکن لخبر الواحد المخالف لعموم القرآن و خصوصه أن یکون ذا قیمةٍ و أهمیةٍ ولو بمقدار سم الخیاط فی محکمة العدل الإسلامی؟ بعدها تعدد جمیع الطرق التی تمنع تحجب الإرث و من ثم تقوم بتفنیدها. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۳۵ ۵- التریث و التربص لکی لا یتصور الحاضرون أن تمسکها بفدکٍ نابعٌ من کونه متصفاً بصفةٍ مادیةٍ دنیویةٍ، لا بصفةٍ إلهیة، فقد أضافت هذه السیدة المجاهدة قائلة: «الآن و بعد أن آل الحل إلی ما آل فخذوها طرّةً، و افعلوا ما بدا لکم، لکن اعلموا أنکم ستقفون فی محکمةٍ عظیمةٍ تختلف عن سائر المحاکم الدنیویة، فاللّه «سبحانه و تعالی هو الحاکم فیها، و الرسول صلی الله علیه و آله هو المدعی علیکم فی تلک المحکمة، و موعدها یوم القیامة «یوم البروز» یوم تتضح کل خافیة!». فإن أعددتم جواباً لذلک الیوم فتوکلوا علی اللّه، و إلا فاستعدوا للجزاء الإلهی. حینها ستندمون حمتاً علی ما فعلتم ولکن سوف لن ینفعکم هذا الندم أبداً لأن ملف الأعمال قد أغلق، و لا سبیل للرجوع إلی الماضی. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۳۶ المحور السابع

طلب نصرة الأنصار

النص: ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: یا معشر الفتیة (النقیبة) و أعضاد الملة و حضنة الإسلام، ما هذه الغمیزة فی حقی و السنة عن ظلامتی. أما کان رسول اللّه صلی الله علیه و آله أبی یقول: «المرء یحفظ فی ولده». سرعان ما أحدثتم و عجلان ذا إهالة، و لکم طاقةٌ بما أحاول و قوةٌ علی ما أطلب و أزاول. أتقولون مات محمّد صلی الله علیه و آله فخطبٌ جلیلٌ إستوسع و هنه و استنهر فتقه، و انفق رتقه. و أظلمت الأرض لغیبته، و کسفت النجوم لمصیبته، و أکدت الآمال، و خشعت الجبال، و أضیع الحریم، و أزیلت الحرمة عند مماته. فتلک و اللّه النازلة الکبری و المصیبة العظمی لا مثلها نازلةٌ، و لا بائقةٌ عاجلةٌ، أعلن بها کتاب اللّه جلَّ ثناؤه فی أفنیتکم و فی ممساکم و مصبحکم هتافاً و صراخاً و تلاوةً و ألحاناً، و لقبله ما حل بأنبیاء اللّه و الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۳۷ رسله حکمٌ فصلٌ، و قضاءٌ حتمٌ. «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَی أَعْقَابِکُمْ وَمَن یَنْقَلِبْ عَلَی عَقِبَیْهِ فَلَن یَضُرَّ اللّهَ شَیْئاًوَسَیَجْزِی اللّهُ الشَّاکِرِینَ» «۱». إیهاً بنی قیلة! أأُهضم تراث أبی و أنتم بمرأی منی و مسمعٍ و منتدیً و مجمع؟ تلبسکم الدعوة و تشملکم الخبرة و أنتم ذو العدد و العدة و الأداة و القوة، و عذرکم السلاح و الجنة، توافیکم الدعوة فلا تجیبون، و تأتیکم الصرخة فلا- تغیثون (تعینون)، و أنتم موصوفون بالکفاح، معروفون بالخیر و الصلاح، و النخبة التی انتخبت و الخیرة التی اختیرت. قاتلتم العرب، و تحملتم الکد و التعب، و ناطحتم الأمم و کافحتم البهم، لا- نبرح أو تبرحون، نأمرکم فتأتمرون، حتی إذا دارت بنا رحی الإسلام و در حلب الأیام، و خضعت نعرة الشرک، و سکنت فورة الأفک، و خمدت نیران الکفر، و هدأت دعوة الهرج، و استوثق (و استوسق) نظام الدین! فأنی حرتم بعد البیان؟ و أسررتم بعد الإعلان؟ و نکصتم بعد الإقدام؟ و أشرکتم بعد الإیمان؟ «أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَکَثُوا أَیْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوکُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن کُنتُم مُؤْمِنِینَ» «۲». ألا قد أری أن قد أخلدتم إلی الخفض، و أبعدتم من هو أحق بالبسط و الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۳۸ القبض، قد خلوتم بالدعة و نجوتم من الضیق بالسعة، فمججتم ما و عیتم، و دسعتم الذی تسوَّغتم. ف «إِن تَکْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِی

الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ» «۱». ألا و قد قلت ما قلت على معرفةٍ منى بالخذلة التى خامر تكم و الغدرة التى استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، و نفثة الغيض (الغيظ) و خور القناة و بثة الصدر و تقدمة الحجة. فدو نكموها فاحتقبوها دبرة الظهر نقيبة (نقبة) الخف، باقية العار، موسومةٌ بغضب اللَّه و شنار الأبد، موصولة بنار اللَّه الموقدة التى تطلع على الأفئدة، فبعين اللَّه ما تفعلون. «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ» «۲» و أنا ابنة نذيرٍ لكم بين يدى عذابٍ شديدٍ، فاعملوا «إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ» «۳» التفسير: ۱- دور الأنصار الفاعل فى تحقيق أهداف الإسلام تشيد سيدة الإسلام عليها السلام فى هذا القسم من حديثها بطائفة الأنصار، موصفةً إياهم بالمجموعة المختارة و ساعد الإسلام القوى و حامى الرسول صلى الله عليه و آله المخلص، كما أظهرت لهم الشكر و الثناء بسبب ما بذلوه فى خدمة الرسول صلى الله عليه و آله منذ دخوله المدينة و ما تحمَّلوه من عناءٍ و مصاعب الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۳۹ قبل ذلك فى سبيل الإسلام. نعم، كان للأنصار دورٌ مؤثرٌ فى تقدم الإسلام فى الحرب و السلم و فى جميع مراحله، و بالرغم من ذلك فقد كانوا أقل توقعاً و طمعاً من المهاجرين، و ربما طوى تاريخ الإسلام مسيراً أفضل فيما لو صُيِّرت لهم الأمور. مما لا شك و لا ريب أن فى المهاجرين أشخاصاً مخلصين لم يتوانوا أبداً فى إيثارهم و تضحياتهم، لكن تغلغل المتلاعبين بالسياسة فى أو ساطهم قد غر قلب الوضع كلياً ۲- هجوم فاطمة الزهراء عليها السلام على الأنصار لكن سخط سيدة الإسلام عليها السلام عليهم هو لماذا التزمت هذه السواعد القوية و أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله القدماء الصمت فى مقابل الظلم الذى حل بآل بيته، فقد أقروا بسكوتهم صحة تلك المظالم، و لم يراعوا ذمة النبى صلى الله عليه و آله فى أهل بيته، و الأهم من ذلك مؤازرتهم للغاصبين و موقفهم الشائن المساعد من تغيير محور الخلافة بعد اشتباكٍ قصيرٍ راموا فيه تحقيق مصالحهم، حيث قبضوا ثمناً لذلك السكوت، و ذلك ذنبٌ لا يغتفر! ۳- موت النبى صلى الله عليه و آله لا- يعنى موت الاسلام بين القرآن المجيد من ناحيةٍ و الرسول الكريم صلى الله عليه و آله من ناحيةٍ أخرى حقيقةً مهمةً ألا و هى أن الاسلام لا يعتمد على شخصٍ معينٍ، فهو دين أزلى مستمرٌ إلى يوم القيامة و لا ينتهى بوفاة النبى الكريم صلى الله عليه و آله، لأنه كان ثورة قائمة على أساس دينى، دينٌ إلهىٌ سماوى، الدين الذى يؤمّن الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۴۰ احتياجات الناس على مر العصور، فلابد لهذا الدين أن يبقى و يدوم. ولكن رغم كل ذلك، فإن قسماً من الناس ممن ينقصه بُعد النظر و تهمّه المظاهر، يتصور أن الضربة الموجعة و المصيبة المؤلمة التى ألمَّت بالعالم الإسلامى بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله و الفراغ الذى نتج عن فقد المحيط الإسلامى لهذا القائد العظيم قد أودى بحياة الإسلام، و انطوت أيامه و أحداثه! مما حدى بهم ذلك إلى غلق شفاههم فى مقابل تلك النعرات الجاهلية. تصرخ فاطمة عليها السلام مذكرةً إياهم بآيات القرآن التى تتحدث عن أزلية و بقاء الإسلام، تُنبّه الغافلين و توقظهم من غفلتهم، و تعرّف المسلمين مسؤولياتهم الثقيلة فى تلك المرحلة الحساسة. ۴- الصمت فى مقابل تعطيل الأحكام الإسلامية؟ توبّخُ فى مقطعٍ آخر من حديثها عليها السلام الأنصار بشدّة، بأن سكوتكم على أحداث «فدك»، الاحداث التى تُعد حلقةً من سلسلة انحرافاتٍ متواصلة، و شرارةً من شعلةٍ متوهّجة، و قطرة من تيارٍ جارفٍ، سيؤدى ذلك فى النهاية إلى إحياء الطيف المناهفى للإسلام! يُظهر الناس حيرتهم متسائلين: إذا كان صحيحاً ما يقال من أن قانون الإسلام هو الحق، فلِم لا يسرى حكمه على أقرب أقرباء النبى صلى الله عليه و آله؟ فعند ما يسحقوا مثل هذا الحكم الصريح و أنتم تقرّون ذلك بسكوتكم، صار من السهل عليهم أن يسحقوا سائر الأحكام الإسلامية! يجب أن تنظروا لهذه المسألة على أنها «عمليةٌ مدبّرة» لا بعنوان أنها الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۴۱ «واقعة عرضية»، و تصوروا ما هى الأحداث الأخرى التى خُبأت خلف هذه الحادثة؟ و ما ثورتى و صرختى إلا لهذا السبب! لا تتصوّروا أن «حمايتكم للمظلومين من أمثالى» توجد الفرقة بين صفوف الأمة الإسلامية، بل على العكس، فإن سكوتكم يثير الغرابة والدهشة، فلو ادّعيتم الضعف و العجز فقد كذبتم، فقيكم العدد و العدة منذ البداية، و هى الآن أكثر، إضافةً إلى ذلك فلما ذا تلقون بآيات القرآن الصريحة التى تنص على «أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» «۱» خلف ظهوركم؟ و تخافونهم بدل أن تخافوا اللَّه؟ ۵- الخلود إلى الدعة بعدها تغوص هذه المعلمة القديرة فى أعماقهم لتستخرج سبب

سکوتهم الأصلی، فتشیر إلی أن المسألة هی أن استولی علیکم حب الدعة و طلب الراحة، و استسلمت أجسادکم للإستراحة، فرغم أنکم شاهدتم بأعینکم تنحیة و تبعید من هو أحق و ألیق بالخلافة من غیره عنها إلا أنکم التزمتم جانب الصمت؟ نعم، تستمر عجلة الثورة إلی الوقت الذی یحتفظ الأشخاص بالروح الثوریة و لم یخضعوا لمیولهم الدنیویة، و إلا رکعوا أمام المصاعب و المشاکل، غیر مبالین بما یمر بهم من حوادث مرّة، و بالتالی بخبت نور الثورة! الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۴۲ ۶- النکوص عن النصرة تمتلک هذه السیدة الشجاعة بصیرةً نافذةً فی أدق الأمور، فهی تمیط اللثام عن حقائق هامة، فتخاطب طائفة الأنصار فی هذا المقطع مشیرة إلی هذا المعنی غایتی هی إتمام الحجة علیکم لا غیر، فلیس لی فیکم أملًا یُرتجی فبعد أن التزمتم الصمت فی مسألة «الخلافة» کان من الطبیعی أن ترفعوا نفس الشعار فی مسألة «فدک»، لکن التاریخ الإسلامی سیسجل حدیثی لهذا الیوم، و ستحکم الأجیال القادمة فیما بیننا، هذا بالإضافة إلی أننی أردت أن أزیل عن قلبی عُقد الهم، و ازیح غیض صدری حتی یعلم الجمیع ما عانیت من الالم! ۷- البشارة بالعذاب تشیر بطلة الإسلام فی هذا المقطع إلی نتیجة أفعالهم، فتقول منبهةً إیاهم: أتظنون أنّ ثمن هذا لسکوت، و طلب الراحة ذاک، و هذا الموقف المتفرّج، و هذه اللامبالاة سیکون رخیصاً بل ستقطفون ثمارها المُرة فی هذه الدنیا علی أید حکوماتٍ جائرة- مثل بنی أمیة و بنی العباس- و التی سوف لن ترحم أعقابکم و لن تتورع عن هتک القرآن و الاسلام. ۸- امتداد إنذار النبی صلی الله علیه و آله تقول سیدة النساء فاطمة علیها السلام نفس ما کان یقوله الأنبیاء للمجرمین، حیث تنذرهم: الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۴۳ «إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ». «۱» أنتم تنتظرون أن یقع بآل بیت النبی صلی الله علیه و آله ظلماً أکبر، و نحن ننتظر فیکم عقاب اللَّه المؤلم و المهلک!

الخطبة الثانیة لسیدة الإسلام فاطمة الزهراء علیها السلام

الخطبة المؤلمة فی نساء المدینة

ألقت سیدة النساء علیها السلام هذه الخطبة و هی علی فراش المرض، ذلک المرض الذی لم تشف منه أبداً، و منه عرجت روحها الطاهرة. کانت خطبتها الأولی فی مسجد الرسول صلی الله علیه و آله و هی فی حالةٍ صحیة جیدة «۱»، و بحضور جمعٍ من رجال المهاجرین و الأنصار، و کانت هذه الخطبة فی مقابل نساء المهاجرین و الأنصار فی داخل بیتها و علی فراش المرض. رغم أن المخاطب قد اختلف، و الزمان و المکان قد تغیّرا، و الحال قد تردّی إلا أن لحن الخطبتین ینم و بوضوح عن روحیةٍ عالیةٍ مملوءةٍ بالعلم و المعرفة، مفمعةٍ بالإیمان وحب اللَّه، یفیض من جنبیها ألمٌ و حزن، و قد تمیزت کلا الخطبتین بلحنٍ بلیغٍ و ساحقٍ و أخّاذٍ و قاطعٍ و شجاع، لکن لحن الخطبة الثانیة التی هی موضوع بحثنا حالیاً کانت أشد تنکیلًا بالظالمین و أکثر حرقةً و ألماً و غماً. لقد کانت هذه الخطبة التی صدرت من قلب بنت الرسول صلی الله علیه و آله المتألم بمثابة رسالة الهموم و الاحزان. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۴۸ الهم الذی نغض روحها و نخر عظامها، و أشعل نیران الحرقة فی کیانها، و لذلک نری أن خطبتها اتخذت طابعاً ملتهباً دموياً لأنها نبعت من قلبٍ محترقٍ فاض بدم الأسی و الحسرة. من عجائب هذه الخطبة هی أن هذه السیدة الجلیلة علیه السلام قد لاقت الکثیر من الظلم العنیف فی الفترة الواقعة ما بین وفاة أبیها صلی الله علیه و آله و استشهادها علیه السلام، ذلک الظلم الذی کان سبب مرضها العصیب، و رغم أن سؤال نساء المدینة عند عیادتها کان یدور حول حالتها الصحیة، و عادةً یشکو المریض بعضاً من آلامه إن لم یکن حدیثه کله مختصاً بحالته الصحة، رغم کان ذلک فإنها لم تورد فی حدیثها أی کلمةٍ عن حالها و مرضها، بل کان حدیثها منصباً علی مسألة غصب الخلافة و ظلامة علیٍّ علیه السلام، و الأخطار التی ستمر بالأمة الإسلامیة نتیجة هذا الإنحراف. عجباً لها، فلم تذکر فی حدیثها شیئاً عن مرضها، فکل ما قالته کان عن ألم زوجها علی علیه السلام و عن مشاکل العالم الإسلامی. نعم ... لقد کانت روح الزهراء علیها السلام أرفع من أن تتکلم عن نفسها و آلامها- رغم أنها کانت کبیرة- بل و أجلُّ من أن یوصف علو

شأنها، فتكلمت فقط عن إمامها وزوجها المحبوب على عليه السلام و آلامه. لم تكن قلقة عى نفسها، بل كانت قلقةً على الأمة الإسلامية و مصيرها المشؤوم و المؤلم. يفكر المرء عادةً فى آخر لحظات حياته بنفسه و مشاكله و آلامه، لكنّ المدهش أن فاطمة عليها السلام لم تورد على لسانها فى هذه الخطبة الطويلة شيئاً من ذلك، و لا حتى بجملةٍ واحدة. و هذا أكبر دليل على عظمة فاطمة عليها السلام و مقام تضحيتها و إيثارها. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۴۹ و فى هذا عبرة لكل الأحرار الهادفين و لكل المضحين و الفدائيين فى تاريخ البشرية. بلى فقد كانت دائماً- و إلى آخر لحظةٍ من حياتها الشريفة المملوءة بالآلام و الهموم- شمعةً تحترق لتنير لمن حولها و تنجّى الضالين منهم و تدافع عن الحق و العدالة. تحدّثت فى خطبة فدك (الخطبة الأولى لسيدة النساء) عن كلٍّ من التوحيد، النشوء، المعاد، فلسفة الأحكام، و الأحداث التى رافقت بعثة النبى صلى الله عليه و آله، و بركات وجوده، و مسألة غصب الخلافة، و مصير المسلمين، و إن هى تحدثت عن «فدك» فذلك لدورها المؤثر فى كونها دعامة ماليةً لمسألة الخلافة و كذا سائر مسائل الإسلام السياسية، و هذا ما دعى الأعداء إلى تضييق الخناق على آل بيت النبى صلى الله عليه و آله و تحطيم قدراتهم بانتزاع «فدك» من أيديهم، فأرادت إسترجاعها منهم. لكنَّ سيدة النساء عليها السلام ركزت فى خطبتها الثانية «خطبة نساء المهاجرين و الأنصار» حديثها على محور الخلافة و الإمامة فقط، و بالرغم من معاناتها للكثير من الظلم و الجور و رغم أن الفرصة كانت سانحةً للمطالبة بحقها المغصوب، إلا- أنها لم تطالب بأى شىءٍ بل و لم تنطق بأية شكوى، فكل ما قالته كان عن علىٍّ عليه السلام، و عن الخلافة و عن مصالح المسلمين. يُعدُّ «التسليم المطلق» من المقامات العالية التى يتحلى بها أولياء اللَّه. و هذا يعنى أن يسلك إلى اللَّه طريق الحق و العدل الذى ينسى المرء فيه نفسه، فلا يرى غير اللَّه. لا يأتمر إلا بأمره. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۵۰ لا-يرجو إلا- رضاه. لا-يفكر إلا- بما يريده. فالمرحلة الأولى هى الإسلام، ثم الإيمان و بعد ذلك الرضا، و من ثم يأتى دور التسليم المطلق، و لهذا المعنى يشير اللَّه سبحانه و تعالى فى محكم كتابه الحكيم: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ» «۱» و يقول أيضاً: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً» «۲». ثم يقول: «إِنَّما نُطْعِمُكُم لِوَجْهِ اللَّه لا نُرِيدُ مِنْكُم جَزاءً وَ لا شُكُوراً» «۳» إن مقام الإيمان و الرضا و التسليم الذى تتحلى به هذه السيدة جعلها تتناسى و تتجاهل آلامها و همومها المرهقة و تتحدث عن رضا اللَّه، و عن رسوله صلى الله عليه و آله و عن وليّه، و عن مستقبل الإسلام و المسلمين. و يسرنا بعد هذه المقدمة القصيرة عن الخطبة و فحواها، أن نتّجه صوب نصها، فنجعلها فى خمسة أقسام، لكنه ينبغى أن نتعرف أولًا على وثائق و أسناد هذه الخطبة. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۵۱

مناقشة أسناد خطبة سيدة النساء عليها السلام

وردت هذه الخطبة فى مختلف مصادر العامة و الخاصة، سنذكر منها المصادر السبع التالية: ۱- كتاب «الاحتجاج» للمرحوم «الشيخ الطبرسى» صلى الله عليه و آله. «۱» ۲- كتاب «كشف الغمة» المشهور للكتاب «على بن عيسى الأربلى» نقلًا عن كتاب «الصحيفة» «۲» ۳- «بحار الانوار» للمرحوم «العلامه المجلسى» ينقل هذه الخطبة و بأسنادٍ متعددة «۳» ۴- كتاب «معانى الاخبار» للمرحوم «الشيخ الصّدوق» يورد هذه الخطبة مع ذكر سندها فى آخرها نقلًا عن عبداللَّه بن حسن عن أمه فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام «۴». ۵- و ذُكرت فى نفس المصدر بسندها عن على بن أبى طالب عليه السلام «۵» ۶- كتاب «الأمالى» للمرحوم «الشيخ الطّوسى». ۷- كتاب «شرح نهج البلاغة» للعالم السنّى المعروف «ابن أبى الحديد» «۶» الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۵۲ على أىّ حالٍ و كما ذكرنا سابقاً، فقد وردت هذه الخطبة بأسنادٍ متعددة مع ملاحظة اختلافٍ فى نصوصها، و قد اخترنا أقربها للصحة و أكملها و هو المنقول فى «الاحتجاج» عن «سويد بن غفلة» (نقل ذلك أيضاً العلّامة الكبير المجلسى فى المجلّد ۴۳ من بحارالانوار ص ۱۶۱) «۱» و عليه فإن الخطبة المذكورة هى من الخطب التى وردت من مصادر متعددة و بأسنادٍ معتبرة، لذا فهى تتمتع بأهميةٍ خاصة. ولكى نتعرّف

علی الحقائق التی تضمنتها هذه الخطبة، نتجه صوب متن الخطبة و تفسیرها.

القسم الأول

لما إعتلت فاطمة علیها السلام علة الموت، اجتمع إلیها نساء المهاجرین و الأنصار، یعدنها، فقلن لها: کیف أصبحت من علّتک یا ابنة رسول اللّه؟! فحمدت اللّه و صَلّت علی أبیها علیه السلام ثم قالت: أصبحت واللّه عائفةً لدنیا کنَّ، قالیةً لرجالکنَّ. لَفظتهم بعد أن عجمتهم و شنأتهم بعد أن سیرتهم. فقِبحاً لفلول الحدِّ، و اللعب بعد الجد، وقرع الصفاة، و صدع القناة، و خطل الآراء، و زلل الأهواء، و «لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أن سَخِطَ اللّهُ عَلَیْهِمْ وَفِی الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ» «۱» لا جرم لقد قلّدتهم ربقتها و حملتهم أوقتها و شننت علیهم عارها. فجدعاً و عقراً و بُعداً للقوم الظالمین. نظرة عامة: یعترض الإنسان فی طول حیاته أیاماً و ساعات حسّاسةً تکون بمثابة امتحانٍ له، و بالطبع فإن الامتحان الإلهی یُربّی فی المرء روحه و یزید الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۵۴ فیه المقاومة و الشهامة کما یتم من خلاله کشف قابلیاته و تفتح استعدادته، و أیضاً معرفة المرء حقیقة باطنه. علماً أن المرء قد یشتبه أحیاناً فی معرفة نفسه، لا کما هو الحال فی الامتحان البشری الذی یُقام لکشف عددٍ من المجاهیل و التعرف علی بواطن الأفراد من خلال التجربة و التحلیل. و هذه المسألة قد وضحت فی هذا القسم من خطبة سیدة الإسلام علیها السلام. تظهر الزهراء علیها السلام نفرتها و انزعاجها الشدیدین ممّن ینتهز الفرصة لیسترزق منها مؤنة یومه، أی من المهاجرین و الأنصار لأنهم سکتوا- لیس سکوتهم فحسب- بل علی موافقتهم للإنحرافات التی حدثت بعد وفاة النبی صلی الله علیه و آله، فأنذرتهم بأن یحذروا هذا الإمتحان الإلهی العظیم. تذکّرهم بجهادهم الرائع فی عصر الرسول صلی الله علیه و آله، و من ثم تشبههم بالسیوف المثلومة التی فقدت قدرتها فی صدِّ الأعداء و دحرهم، و بالرماح التی تهشمت فأصبحت غیر مفیدة لأی‌شیء. توبّخ ابنة النبی الکریم صلی الله علیه و آله بشدة أولئک الذین سخروا من مبادیء الإسلام و جعلوها عرضةً لأهواءهم، و من ثم وجهت لومها و تحقیرها إلی من وهن عزمهم، و فقدوا قدراتهم فی اتخاذ قرارٍ ضد الإنحرافات التی حدثت. فی نهایة هذا القسم تقوم بإنذارهم بأن مسؤولیة غصب الخلافة ستثقل کاهلهم إلی الأبد، و ستبقی جباههم موسومة بوصمة العار التی جاءت نتیجةً لسکوتهم، کما أن التأریخ الإسلامی سیسجّل هذه الحادثة المؤلمة بمنتهی الأسف. نعم، فالکثیر منهم لم یخرجوا من الإمتحان منتصرین و لم تکن الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۵۵ وجوههم مستبشرة، و کم کان حسناً لو تبیّنت «حقائق الأمور» للعیان حتی تسودَّ وجوه «الغشاشین»، و کم کان لطیفاً لو أُقیمت مناقل النار لیفضح «مدلوک الذهب و سوار الفضة» باطنه و یتبین للناس حقیقته لیُمیزوه عن الذهب الخالص. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۵۶

القسم الثانی

اشارة

و یحهم أنّی زعزعوها عن رواسی الرسالة و قواعد النبوة و الدلالة، و مهبط الروح الأمین و الطبّین بأمور الدنیا و الدین «أَلَا ذلِکَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِینُ» «۱» و ما الذی نقموا من أبی الحسن علیه السلام؟ نقموا منه و اللّه نکیر سیفه، و قلة مبالاته بحتفه، و شدة و طأته، و نکال وقعته، و تنمُّره فی ذات اللّه. و تاللّه لو مالوا عن المحجة اللائحة، و زالوا عن قبول الحجة الواضحة، لَردَّهم إلیها، و حملهم علیها، و لساربهم سیراً سجحاً، لا یکلم خشاشه، و لا یکل سائره و لا یمل راکبه. و لأوردهم منهلًا نمیراً صافیاً رویّاً تطفح ضفَّتاه و لایترنق جانباه و لأصدرهم بطاناً و نصح لهم سراً و إعلاناً. و لم یکن یتحلی من الدنیا بطائلٍ، و لایحظی منها بنائلٍ، غیر ری الناهل و شبعة الکافل و لبان لهم الزاهد من الراغب، و الصادق من الکاذب. «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَی آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَیْهِمْ بَرَکَاتٍ مِنَ السَّماءِ الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۵۷ وَالْأَرْضِ وَلکِن کَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا کَانُوا یَکْسِبُونَ» «۱» «وَالَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْ هؤُلاءِ سَیُصیبُهُمْ

سَيِّئاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ» «۲» التفسير

المعايير و القيم الإلهية

تحكم المجتمع الإلـهى السـليم معايير و قيم إلهيّـةً فى جميع مجالات الحياة، سـيما فى أشـغال المناصب، فلا سبيل للأجنحـة و منتهزى الفرص، و الدسائس السياسـية و العصبية القبلية و القومية، و كذا ما يعقده تجار السوق السياسى من اتفاقاتٍ خلف الكواليس فى ارتقاء المنـاصب و التصـدّى لمسؤوليتهـا. تخاطب سـيدة النساء عليها السـلام فى هـذا القسم نساء المدينـة مسـتفهمة: لماذا؟ و بأىّ مسوّغ غيّر رجـالكنَّ محور الخلافـة عن المسـير الـذى طالمـا بيّنه الرسول صـلى الله عليه و آله فى أحاديثه الصـريحة الواضـحة؟ و ما هو نقص أبو الحسن على بن أبى طالب عليه السلام؟ و هل يفتقد شيئاً من الكمالات اللازمة، روحيةً كانت أم جسدية؟ بلى إن عيبه هو سيفه الغالب الذى خطف النوم من عيون أعدائه، قدرته اللامتناهية فى ميادين القتال، إستخفافه بالموت فى سوح الوغى جعلت منه حصناً منيعاً عجز أعداء الإسـلام فى اختراقه. فالعذر التافه الذى أُوخذ عليه هو أن توجهه للَّهفقط، فرضاه من رضا اللَّه، كما أن غضـبه و سخطه لوجه اللَّه فقط. الزهراء عليها السـلام سـيد نساء العالمين، ص: ۱۵۸ الحقيقـة أن كلام سـيدة النساء عليها السـلام كان بمثابة تذكيرٌ لهم بأن قيم و مفاهيم المحيط الإسـلامى قد تغيرت و تبدلت بعد وفاة النبى الكريم صـلى الله عليه و آله، و بسبب انحراف المزاج السليم لأرواح هذه المجموعـة من المهـاجرين و الأنصار، صار طعم القيم الإسـلامية الحقيقـة فى أعماقهم مرّاً كالحنظل بعـد أن كان لذيـذاً كالعسل، كما اعتبرت الشروط التى تشكل أهم مواصفات القائد الربانى القاطع الصارم عيباً و نقصاً له. بعدها تستمر فى حديثها منبّهةً إياهم أن تنحية علىٍّ عليه السـلام عن الخلافـة إنمـا هو كفران لنعمـةٍ كبيرةٍ و موهبـةٍ إلهيـةٍ عظيمـة، علمـاً أنه أعلمُ الناس بآيات القرآن و بحلال اللَّه و حرامه. فهو أعرف من غيره بالحق و الباطل و القادر على الفصل بينهما، و لو آلت إليه زمام الأمور لم يكن ليسـمح لورثه الشرك (آل أبى سـفيان و هم أعدى أعداء الإسـلام و أشد المخالفين للقرآن الكريم) أن يطمعوا فى الحكومة الإسـلامية بهذه السـرعة، و يحولوها إلى جهازٍ حكومىٍّ مستبد، و هو أسوأ و أظلم من حكومة كسرى و قيصر و الفراعنة. فإذا كانت أمورهم مودعةً فى يد علىٍّ عليه السلام المتقـدرة، لأجلسـهم مركب الحق المنيع، و لهداهم بأمانٍ و هدوءٍ و مداراةٍ إلى نبع ماء الحياة، و من ثم لرواهم من ذلك النبع المتدفق ماءً عذباً زلالًا يمنح شاربيه حياةً أزليّة. إن من شـروط القائد الربانى هو حب الخير و العطف على الأمة، فهل وجدوا أحداً أكثر عطفاً و شفقـةً من علىٍّ عليه السـلام؟ الشـخص الذى كرّس جهده فى إشـباع الجياع و إرواء العطاشـى يتألم لآلامهم و همومهم، كما أن غمهم يعصـر قلبه. الشـرط الآخر فى مسألـة الخلافة و الإمامة هو الزهد و عدم الاغترار بالدنيا و جاهها و مالها، فإن تعلّق قلب قائد الأمة بالدنيا صار من السهل الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۵۹ النفوذ إليه من هذا الطريق، و من ثم تضليله و حرفه عن جادّة الحق. فهل يوجد فى كل الأمة الإسلامية أزهد و بالدنيا من علىٍّ عليه السلام؟ الشخص الذى لم يكتنز ذهباً أبداً، و لم يُشيد لنفسه قصراً، ثيابه بسيطة كثياب غلامه. و غـذاؤه بمستوى غـذاء أفقر الناس. إذا كانت معايير الخلافة هى القدرة الروحية و البدنية، الإخلاص فى النية و الزهد و العصمة و التقوى و العطف على الأمة، فمن هو أفضل من أمير المؤمنين على عليه السلام الذى يتحلى بهذه المواصفات؟ و إذا كان النبى صـلى الله عليه و آله قـد نصّب علياً عليه السـلام خليفـةً له مشـيراً إلى هذا المعنى مرّات و مرّات عبر عباراتٍ مختلفة الصّيغ، معتبراً إياه أليق من الجميع لهذا المقام فهذا لايقتصر عليه نابل، اللَّه سبحانه و تعالى اعتبره أليق الناس بهذا المنصب. تقوم سيدة النساء عليها السـلام فى نهايـة هـذا القسم بإنـذارهم و تحذيرهم بأن لايظّنوا أن ثمن هذا الكسل و التقصـير، و تقاعسـهم فى حماية الشـخص الأنسب للخلافـة سـيكون رخيصاً، بل عليهم أن ينتظروا ما سيُخلّفه ذلك التقصـير و ذلك التقاعيس و يتـذوّقوا نتيجته المرّة، عليهم أن لايتصوّروا أنهم يسـتطيعون النجاة و الفرار من قبضة العذاب الإلهى فى هذه الدنيا، كلا، أبداً. بلى سيحصدون فى نهاية الأمر ما زرعوا، و سـيبتلون بحكوماتٍ عنيدةٍ و جبّاره و فاسدةٍ و مفسدةٍ و ظالمةٍ تفتقد الرحمة كحكومات بنى أمية و بنى العباس، فى ذلك اليوم الذى سوف لن يجدوا فيه سبيلًا للفرار و هم يشعرون بمواجهتهم لعذاب الآخرة. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۶۰

القسم الثالث

اشارة

ألا هلمَّ فاستمع و ما عشت أراك الدهر عجباً، و إن تعجب فعجب قولهم: ليت شعرى إلى أى سنادٍ استندوا؟ و على أى عمادٍ اعتمدوا؟ و بأيـة عروةٍ تسـمكوا؟ و على أية ذريةٍ أقدموا و احتنكوا؟! «لَبِئْسَ المَوْلى و لَبِئسَ العشـير» «۱». «و بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَـدَلًا» «۲». استبدلوا و اللَّه الذُّنابى بالقوادم، و العجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسـبون أنهم يُحسـنون صـنعاً. «الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» «۳» و يحهم! «أَفَمَن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لَا يَهِدِّى إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» «۴» التفسير

ترجيح «المرجوح» على «الراجح»

لاـ يسـتطيع أىُّ امرىءٍ أن يقبـل ترجيـح «المرجوح» على «الراجـح» ألا مَن يُنكر «الإسـتقلال العقلى». أو بتعبيرٍ أوضـح فأنّ أى إنسانٍ لا يتردد الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۶۱ أبداً فى تقديم «شـىءٍ ذو مزايا عديدة» على «شىءٍ فاقدٍ لجميعها». فهل يا ترى سمعتم أن شـخصاً عنـد انتخابه لمعلم ما، يقوم بترجيح الطالب على الاسـتاذ؟ أو عند معالجة مرضٍ ما أن يفضِّل طبيباً عادياً قليل الخبرة على طبيبٍ كبير عظيم الخبرة و التجربـة؟ (دون أن تُؤخذ خواص أخرى بنظر الاعتبار) عند انتخاب قائدٍ معيّن، إذا تجاهلنا ذوى التجربة و التدبير و الإدارة، و اتجهنا صوب الجدد ذوى التجربة القليلة، عندها سيشكّ الجميع بصـحة عقولنا و سلامتها. حتى أولئك الذين لا يعتقـدون بقبـح هـذه المسألـة (ترجيع «المرجوح» على «الراجح»)، لا يتجاهلون هذا المبدأ فى أداء أعمالهم أبداً، بل يعملون دائماً على ترجيـح الأحسن. مثلًا عنـد شـراءهم لفاكهـةٍ معينة، فهل يتركون الجيد منها و يبتاعون الردىء و غير الناضج منها؟ او عند اختيار صديقٍ ما، فهل يفضّلون الأشخاص الأشرار ذوى الصيت السيّء على النزيهين و الأخيار؟ كما أن من المستحيل أن يُفضل الإنسان الماء الآسن على المـاء الزّلال، و إن وُجـد شـخص، يفعل ذلك فلا ترديـد فى كونه ناقص العقل. نعم، تعمى و تصمّ المنافع الماديـة أحياناً بصـر و سمع الإنسان بشـكل تُنسـيه منافعه الحقيقيـة، عنـدها يؤدى الإنسان عملًا يدفعه إلى تقديم «المتأخّر» على «المتقدم». و قد اعتمد القرآن الكريم على هـذا المعنى فى تأنيبه للكفار و المشـركين الّـذى لوّثوا أنفسـهم بهـذا العلم القبيح المرفوض، حيث نقرأ: «أَفَمَن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لَا يَهِدِّى إِلَّا أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» «۱». تضيف السيدة الرشيدة و ابنة النبى الكريم صلى الله عليه و آله فى هذا القسم (القسم الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۶۲ الثالث) من خطبتها الغرّاء المؤلمة مشيرةً إلى هذا المعنى يـا معشـر المهـاجرين و الأنصـار! لِم خـذلتم من كان له السّـبق فى الإسـلام، و أوّل من بايع الرسول صـلى الله عليه و آله من الرجال، و اتّبعتم من ليس له من هذا الافتخار أى نصيب، (بل و سـجد للأصـنام حتى بعد بزوغ شمس الإسلام)؟ لِم أبعدتم من هو «بابٌ» لمدينة علم النبى صـلى الله عليه و آله و الأقـدر على التحكيم و القضـاء اسـتناداً إلى حـديث الرسول صـلى الله عليه و آله المشـهور «أقضـاكم علىٌّ»، و سـرتم خلف مَن لا يملك شـيئاً من ذلك العلم و تلك المعرفة؟ لقد تجاوزتم بعملكم هذا القانون الصريح (بترجيح «الراجح» على «المرجوح»)، و تناسـيتم حكم القرآن فى هـذا الأمر (مضـمون الآية التى ذُكرت أعلاه) «۱». تعجب سـيدة الإسلام عليها السلام من هـذا الأمر بشدّة، و تصف الدنيا ب «عالم العجائب» الذى يعلّم الإنسان فى كل يومٍ ينقضـى من عمره درساً جديداً». تتساءل بعدها عن الـدليل الـذى دفع هـذه المجموعـة التى يبدو عليها العقل و التدبير إلى تغيير محور الخلافة، و اختيار الآخرين ليحلُّوا محل على بن أبى طالب عليه السـلام؟ و لأىٍمن الوثائق اسـتندوا؟ و كيف تجاهلوا ميزات علىٍّ عليه السـلام الواضحة، و قدّموا المرجوح عليه؟! و تستعين فى نهايـة هـذا القسم بالآيات التى تتحدث عن مصير هؤلاء الناس: ى لَبِئْسَ المَوْلى و لَبِئسَ العشـيرى «۲». ى و بِئْسَ لِلظّالمينَ بـدلًاى «۳». الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۶۳

القسم الرابع

اشارة

أما لعمری لقد لقحت، فنظرةٌ ریثما تُنتج، ثم احتلبوا مِلاء القعب دماً عبیطاً و ذُعافاً مبیداً «هنا لک یخسر المُبطلون» و یعرف التّالون غِبَّ ما أسَّس الأوّلون، ثم طیبوا عن دنیاکم أنفساً و اطمئنوا للفتنة جِأشاً. و أبشروا بسیفٍ صارم، و سطوة معتدٍ غاشم و هَرجٍ شامل، و استبدادٍ من الظالمین یدع فیئکم زهیداً، و جمعکم حصیداً فیا حسرةً لکم و أنّی بکم و قد عمیت علیکم؟ أنُلزمکموها و أنتم لها کارهون. التفسیر

الاختیار الخاطیء و ثمرته المشؤومة

یعتقد الکثیر من الناس أن تناسیهم للوقائع یجعلها تنساهم هی الأخری و لن تأخذهم بجلابیبهم. هکذا یظنون، یمکن الحصول علی ثمر جیّد من خلال زرع بذرةٍ فاسدة. نعم لن یمضِ وقتٌ طویل حتی تتهاوی ظنونهم کما یتهاوی البناء الذی هرَّء الدود أرکانه، أو کما تزول الفقاعات من علی سطح الماء، أو کالطیف الذی یتلاشی باستیقاظ النائم، عندها یری الصورة البشعة الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۶۴ المشؤومة للواقع الذی نتج عن اختیاره الخاطیء، و سیتذوّق مرارة الأحداث التی سیفرزها عمله الطائش. نعم هذا هو قانون الوجود الذی سیحکم البشریة کما حکمها فی جمیع مراحلها التاریخیة بکل قدرته، و هو أن یری المخطیء نتیجة و عاقبة عمله، و یبدّل طعم حیاته الرائع فی نفسه إلی حنظل، و أحلامه الجمیلة إلی کابوسٍ موحش. ترکّز سیدة الإسلام علیها السلام فی القسم الرابع من خطبتها علی هذا المعنی حیث تفصح عمّا سیواجهونه نتیجة عملهم المشؤوم: سیحمل جمل الخلافة بعد انحراف مسیره سریعاً، و سیعانق الأرض منه مولودٌ عجیب الخلقة، عِوض من أن تشربوا حلیبه السائغ الهنیء، ستُناوَلون کؤو ساً ملیئةً بدم جدید، یملأ قداح قلوبکم! و سیُصَبُّ فی فیکم السُّم المیت بدل اللبن الخالص. و بالتدریج سیأتی دور ظلّام التأریخ و أبناء و أحفاد «أبوسفیان» و «الحجّاج» و «الأشاعثة» و مَن هو أسوأ منهم، الذین سیُسلّطون سیوفهم علی رقابکم و رقاب أبنائکم، و سیحصدون ثمار حیاتکم بمنجلهم المیت. سوف لن یکتفوا بسرقة أموالکم و سبی نسائکم، و إنّما سیُقیمون فیکم قتلًا جماعیاً متکرّراً، تتلوّن عی أثره الأرض بلون دمائکم، بما فی ذلک أرض مسجد النبی الکریم صلی الله علیه و آله، نعم فسیعملون فیکم و فی أبنائکم القتل فی داخل المسجد الشریف ثانی الحرمین الآمنین حتی یطفح صحن المسجد بالدم، بل و سیهتکون حرمة بیت اللّه الحرام بقصفه بالحجارة بواسطة المنجنیق، و سیتلقّفوکم بسیوفهم فی داخله و خارجه! الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۶۵ لقد حلّق بکم الخیال بعیداً، فظننتم أنَّ أعذارکم الواهیة فی تخلیکم عن نصرة الحق و الدفاع عن خلیفة الرسول صلی الله علیه و آله سینجیکم من الجزاء الإلی بسهولة، و ستفرّون عندها من عواقب أعمالکم السیئة، هیهات، فذلک تصوّرٌ باطل! هیهات، فذلک خیالٌ محال! و الیوم ... نعم فی هذا الیوم و عند ما نتفحّص صفحات التأریخ المنصرم ندرک أکثر من أی وقت حقیقة و واقعیة حدیث الزهراٌ علیها السلام ذو المحتوی القیّم، فما أتعس العواقب التی حلّت بالمسلمین نتیجة انحراف محور الخلافة عن مسارها الأصلی؟ و کیف أصبحت أرواحهم و أموالهم و أعراضهم، و الأکثر من ذلک قوانین و أحکام و مقدسات الإسلام لعبةً بید ورثة أحزاب الجاهلیة؟! لم یرحم أعوان بنی أمیةً الکبیر و لاالصغیر. لم یراعوا حَرمَ رسول اللّه و لا احترام بیت اللّه «سبحانه و تعالی لم یکنّوا احتراماً للمهاجرین و کذا للأنصار. فیوصی واحدٌ من أبناء «آل سفیان» إلی من حوله: تلقّفوها یا بنی أمیة تلقّف الکرة فوَ الّذی یحلف به أبوسفیان ما من جنَّةٍ و لانارٍ. فماذا أکثر من ذلک! لذا یقول معاویة بن أبی سفیان أیضاً: ما قاتلکم لتُصلّوا ولا لتصوموا ... بل قاتلتکم لأتأمَّر علیکم. و الأسوأ من ذلک تلک القصة التی ینقلها العالم المتعزلی المعروف «ابن أبی الحدید» فی شرح نهج البلاغة حیث یقول. «و قد طعن کثیرٌ من أصحابنا فی دین معاویة، و لم یقتصروا علی الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۶۶ تفسیقه، و قالوا عنه إنّه کان ملحداً لا

یعتقـد النبوة، و نقلوا عنه فی فلتات کلامه و سـقطات ألفاظه ما یـدل علی ذلک. و روی الزبیر بن بکّار فی «الموفقیّات» و هو غیر متهم علی معاویـة، و لاـ منسوب إلی اعتقـاد الشـیعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبـة علیٍّ علیه السـلام، و الانحراف عنه: قال المطرّف بن المغیرة بن شـعبة: دخلت مع أبی علی معاویة، و کان أبی یأتیه، فیتحدث معه، ثم ینصرف إلیَّ فیذکر معاویة و عقله، و یعجب بما یری منه، إذ جـاء ذات لیلـة فأمسـک عن العشـاء، و رأیته مغتمّـاً فـانتظرته ساعـةً، و ظننت أنه لأمرٍ حـدث فینا، فقلت: مالی أراک مغتمّاً منذ اللیلـة؟ فقـال: یـا بُنی، جئـت مـن عنـد أکفر النـاس و أخبثهـم، قلـت: و مـا ذاک؟ قـال: قلـت لـه و قـد خلـوت به: إن قـد بلغت سـنّاً یا أمیرالمومنین، فلو أظهرت عـدلًا، و بسـطت خیراً فإنـک قـد کبرت؛ ولو نظرت إلی إخوتک من بنی‌هاشم، فوصـلت أرحامهم فواللّه ما عنـدهم الیوم شـیءٌ تخـافه، و إنَّ ذلک مما یبقی لک ذکره و ثوابه؛ فقال: هیهات هیهات! أیُّ ذکرٍ أرجو بقاءه! مَلک أخو تَیم فعـدل، (إشـارة للخلیفـة الثانی) و فعل ما فعل، فما عـدا أن هلک حتی هلک ذکره؛ إلا أن یقول قائل: أبوبکر: ثم ملک أخوعـدی، فاجتهـد و شهّر عشـر سنین؛ فما عدا أن هلک ذکره؛ الا أن یقول قائل: عمر، و إنَّ ابن أبی کبشة (إشارة إلی الرسول الکریم صلی الله علیه و آله) لیُصاح به کل یوم خمس مرات: «أشـهد أنَّ محمّـداً رسول اللّه»، فأیُّ عملٍ یبقی و أی ذکرٍ یـدوم بعـد هذا لا أباً لک! لا و اللّه إلا دفناً دفنا» «۱» و بعدها مباشـرةً یقوم یزید حفید أبو سفیان برفع الستار و نشر نعرته المستهترة علناً حیث یقول: الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۶۷ لَعِبَت هاشمُ بالمُلْکِ فَلا خبرٌ جاءَ و لا و حیٌّ نَزَلْ و بهـذا الشـکل بان و تأکّـد ذلک الکفر و الأجرام الـذی نطق به أبوسفیان. إن حالة السجون الأمویة و التعذیب القاسی الذی سلّطه الأمویون علی سجنائهم لم یسوّد صفحات تأریخ الإسلام فحسب بل و حتی تأریخ البشـریة، و هذا مصداق مقولة سـیدة الإسـلام علیه السـلام. نعم، فقد کانت حوادث المسـتقبل منعکسة بصورةٍ جیدة فی صفحات قلبها المشـرقة، و طبقاً لما أخبرت عنه فی هذه الخطبة، فسـرعان ما هجم المتسللون المتجاوزون علی الناس بصوارمهم الحادة مسـتبدّین فی الحکـم مسـتهزئین بـدین و روح و مـال و نـاموس النـاس. لقـد ألقی الهرج و المرج ظلّـه المشـؤوم الثقیـل علی المجتمع الإسـلامی، و ذاق المسـلمون مرارة ذلک التقصیر و الوهن فی حمایـة الحق. و هذا جزاء أولئک الذین یترکون الحق و یتّبعون الباطل. الزهراء علیها السلام سید نساء العالمین، ص: ۱۶۸

القسم الخامس

اشارة

قال سُویـد بن غفلة، فأعادت النساء قولها علیها السـلام علی رجالهنَّ فجاء إلیها قومٌ من وجوه المهاجرین و الأنصار معتذرین و قالوا: یا سیدة النساء لو کان أبو الحسن ذکر لنا هذا الأمر من قبل أن نُبرم العهد، و نُحکم العقد، لما عدلنا عنه إلی غیره. فقالت: إلیکم عنی فلا عذر بعد تعذیرکم، و لا أمر بعد تقصیرکم. التفسیر

الأجوبة المریرة و المؤلمة

الأقبح من کل شیءٍ جواب طائفة من المهاجرین و الأنصار بعد سماعهم لرسالتها، حیث کان جوابهم مؤلماً جارحاً له وقعُ الخنجر علی قلبها الطاهر. کان للخطبة وقع مؤثر فی نفوسـهم، فأحسّوا بالخجل، و ربما فزعوا من الجزاء الإلهی فی الدنیا و الآخرة، مما دعاهم ذلک إلی الإسـراع فی الإسـتجازة للتشـرف بالحضور بین یدی بنت رسول اللّه صلی الله علیه و آله و عرض جوابهم الذی کان محتواه: لِمَ لم یَمـدّ أبو الحسن علی ابن أبی طالب علیه السـلام یده لنُبایعه قبل أن یأخذ الزهراء علیها السـلام سـید نساء العالمین، ص: ۱۶۹ الآخرون البیعة لأنفسـهم، فنبارک مقدمه، و ندافع عن حکومته؟ نعمل علی إطاعته، و نستجیب لأوامره من صمیم قلوبنا و أرواحنا. و بوجوده لم نکن لنقدِّم أحداً علیه لأنه أَلیق من غیره بهذا الأمر، و أقرب الناس لرسول اللّه صلی الله علیه و آله و دینه و فکره. ولکن یا للأسف فقد

فات الأوان! فبعد أن صافحنا أياديهم الممدودة للمبايعة، و طوّقنا رقابنا بعهد الطاعة، و بسبب تعزيز ذاك الارتباط فى هذا الأمر فإنه قد أُغلقت جميع الطرق بوجوهنا و لا سبيل للعودة! أمّا ليتهم لم يتذرّعوا بذلك العذر فى محضر سيدة الإسلام صلى الله عليه و آله الذى هو أشد قسوةً من فِعلهم، جواب قبيحٌ، و عذرٌ مفتضح كاذب، كلامٌ آلم قلبها الطاهر بشدة، و زاد من هموم روحها الجسيمة همّا آخر. ليتهم أقرّوا بذنبهم على الأقل، و ليتهم و عدوها بالرّجوع فى الفرصة المناسبة، و لم ينطق لسانهم بذلك العذر الواهى، بالإضافة إلى أوّلًا: أنهم سمعوا من شخص رسول اللّه صلى الله عليه و آله و لِعدّة مرات أن الوصاية و الخلافة لن تكون إلا لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام، و هذا الأمر يغنى عن البيعة له. ثانياً: على فرض ضرورة البيعة، ألم يأخذ الرسول صلى الله عليه و آله منهم البيعة لعلىٍّ عليه السلام فى غدير خم، تلك الحادثة التى لم تكن لتخفى على أحد، فهى أحداثٌ عاشوها و شاهدوها عن قرب أو سمعوا بها على الأقل. ثالثاً: على فرض أنّهم لم يحضروا بيعة الغدير و لم يسمعوا حديث الرسول صلى الله عليه و آله فى ذلك اليوم، فهل خفى على أحدٍ منهم أفضلية علىٍّ عليه السلام على الآخرين؟! لماذا لم يأتوه بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله و يمدّوا أيديهم مجددين له البيعة إن لزم الأمر؟ الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۷۰ لم تكن الخلافة حقّاً شخصياً مختصّاً بأمير المومنين على عليه السلام حتى يحتاج إلى أن يطالب بحقه، ولكن الخلافة حقٌّ عام متعلقٌ بالمجتمع الإسلامى، لا بل بالإسلام ككل، لهذا نصَّب الرسول صلى الله عليه و آله علياً فى هذا المقام بأمرٍ من اللّه «سبحانه و تعالى . يُعدُّ قبول على عليه السلام للخلافة و تأييد المسلمين له من الوظائف الإلهية الحتمية، و لا معنى للاستفسارات «لِمَ و لأنَّ» و «إذا و كيف» و «كذا و هكذا». رابعاً: لو افترضنا أنه كان على علىٍّ عليه السلام أن يأخذ البيعة لنفسه و يخلف الرسول صلى الله عليه و آله فى الناس، فهل يا ترى من اللائق أن يبقى جسد الرسول صلى الله عليه و آله الطاهر على الأرض دون تكفينٍ و تدفين و الاهتمام بمسألة الخلافة و كرسيّها. ما أحقر تلك المؤامرة، لِمَ أدبر جمعٌ منهم عن مراسم دفن الحبيب و أسرعوا فى الحضور فى مراسم تنصيب الخليفة؟ لماذا؟ خامساً: لو تغاضينا عن جميع ذلك، و لو أن شخصاً اختار لنفسه قائداً و من ثم عرف أنه أخطأ فى اختياره، و أن طريق هذا سينتهى به إلى التهلكة، فهل عليه أن يستمر فى طريقه ذاك و يسقط فى تلك الهاوية لا لشىء سوى أنه بايع و وعد بالوفاء؟ أىُّ منطقٍ و قانونٍ، و أى عقلٍ يحكم بهذا؟

ملاحظة مهمة

تتبادر إلى الذهن مسألة مهمة بعد إختتام هذا الموضوع، هى أن الخطبة رغم أنها خصت بالذكر مسألة خلافة و ولاية على عليه السلام، إلا أنها كانت الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ۱۷۱ درساً مفيداً لكل المسلمين عبر مراحل التأريخ، و هو ألا يستخفّوا فى الأمور التى تخص الحكومة الإسلامية، و لا يناصروا مَن هم ليسوا أهلًا لها، و لا يتعاملوا مع هذه المسألة تعاملًا سطحياً، و لا يقدّموا المرجوح على الراجح فى اختيار المتصدّين لأشغال المناصب الحسّاسة، و إن هم لم يُراعوا تلك النقاط فعليهم أن يترقّبوا نتيجة أعمالهم المشؤومة، و ليعلموا أنهم سيعيشون العواقب الوخيمة للحكومات الفاسدة المستبدة الطاغوتيّة. بعدها ستُذرف دموع الحسرة و الندامة نتيجة ذلك التقصير. دموعٌ لا تُثمر إلا عن الحسرة و الندامة و الفضيحة.

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله" الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة

صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة "للتحرّى الحاسوبىّ– بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة –فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت– عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَةَ المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة) رقم التسجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹